جوديت

إ.ن.س. أستاخوف

جوديت

المرسلة الشهيدة بروسيا

تأليف

إ. ن. سالوف أستاخوف

ترجمة

فيبي فارس

طبعة أولى

٢٠١٣

المحتويات

مقدمة ٧

١. أيام الطفولة السعيدة ٩

٢. الملاجئ ٤٥

٣. اطلبوا تجدوا ٦١

٤. اضطهاد من أجل المسيح ١٠٧

٥. التكريس للرب ١٧٩

٦. الاستشهاد المُبكّر ٢١١

ContactUs@TheWordsOfTruth.info

مقدمة

هذا الكتاب "جوديت"، هو قصة حقيقية لحياة شـــابة، ابنـــة لعائلة يهودية بارزة في روسيا، وبعد قبولهـــا للـــرب يـــسوع مخلِّصًا شخصيًا لها أُجبِرت على ترك بيتِ أبيهـــا، والـــشاب المخطوبة له، والذي كانت تحبه بشدة، وأيضًا ترك أصـــدقائها وشعبها.

من ذلك الحين أودَعتْ جوديـــت حياتهـــا تمامًـــا للـــرب، وكرَّستها لخدمة السيد. ولكن هذه الحياة انتهت تحت طعنـــات غاشمة من سيوف بعض العسكر.

لقد كان من امتياز المؤلف أن يتابع بنفسه حيـــاة جوديـــت وخدمتها للمسيح، وأن يشاهد نهايتها التي جـــاءت فـــي وقـــت

مبكِّر من حياتها لم يكن أحد يتوقعه. أما قصة حياتها منذ الطفولة المبكرة وحتى قبولها للمسيح فهو مبني على ما يتذكره الكاتب من كثير من المحادثات الشخصية التي جرت بينه وبين جوديت عن هذه الفترة من حياتها.

وقد تم تغيير الاسماء؛ بسبب الأحوال التي كانت قائمة في روسيا أثناء كتابة هذا الكتاب. أيضًا أُشيرَ إلى أسماء البلاد بكتابة الحرف الأول منها لنفس السبب.

هذه القصة التي تم نشرها في البداية باللغة الروسية جلبت بركات وفيرة لبلاد عديدة، وبهذا الرجاء عينه، وبهذه الطلبة القلبية، نرسل الآن قصة جوديت باللغة العربية إلى ناطقيها.

١

أيام الطفولة السعيدة

الابنة المحبوبة - في الريف
محادثة الرَابّيين - من هو يسوع

كانت الحياة في بيت السيد وينبرج سعيدة جدًا، وغير متقلقلة لسنوات عديدة. كان تاجرًا غنيًا يبيع البضائع بالجملة. وبسبب إدارته الحكيمة، كان دخله يتزايد سنويًا وكان العمل ينمو، خاصة في الأيام الأخيرة.

ولكن المصالح المادية لم تكن هي كل شيء في حياة السيد وينبرج وزوجته. كان كنزهما الثمين هو ثلاث فتيات

رائعات ملأنَ قلبيْ والديهنّ فرحةً وسعادة. كانت غاية والديْهنّ أن يمنحانهنّ أفضل مستوى من التعليم. وما كان في الحقيقة أكثر أهمية، هو أن يغرسوا في نفوسهن الطقوس اليهودية القديمة الصالحة، ومبادئ الحياة القويمة، وأن يزرعوا في قلوب بناتهما الإيمان بالله "يهوه" المبارك، الذي في الأيام الغابرة كان عوناً لكل الأمناء الصادقين من شعبه.

كان بين عائلة وينبرج الأقدمين عددٌ ليس بقليل من الرَابّيين الصادقين والأقوياء في الإيمان، الذين كانوا بغيرة شديدة يحمون طقوس آبائهم الدينية. وبحق، كانت هذه العائلة تسمى "حاملة الحياة الدينية"، والتي لم يتبقَّ منها سوى عدد قليل في هذه الأمّة التي بدأت تفقد دينها أكثر وأكثر. ولذلك كان هناك أسفٌ وحزنٌ يعتري السيد وينبرج، والسيدة وينبرج أحياناً، لأن الله لم يهبهما ابنٌ ووريثٌ شرعي يحمل رسالة العائلة الروحية. كان الحزنُ الأكبر لأي عائلة يهودية هو أن يُحرم الوالدان من وجود ابن يصلي على جثمان أبيه حتى يزيد من سعادته في الحياة المستقبلية. ومع ذلك كانت هذه الأوقات قليلة ونادرة؛ حيث أن البنات الثلاث كنّ دائما ينجحن في تبديد أي غيومٍ من الحزن والأسى، فقد كنّ يملأنَ

البيت، وقلبي والديهنّ بالغبطة والسعادة؛ بثرثرتهن المرحة كعصافير الربيع التي تملأ السماء بزقزقتها الجميلة.

كانت جوديت، وهي الابنة الكبرى والأثيرة لدى العائلة، سبب سرورٍ خاصٍ لأبويها؛ فقد نمت قُدُراتها مبكِّرًا، وثبت أنها بالحق أكثر قدرةٍ من الآخرين. وكان شغفها الشديد بالدين، وأسئلتها الجادة التي تفوق أترابها عن أمور الله، هو الذي جعلَ والديْها يتوقعان أن تكون جوديت في يومٍ من الأيام شاهدة بالحق لدين العائلة وتراث الآباء. كثيرًا ما كانت تُمطر والديها بوابل من الأسئلة عن الطقوس التي تختص بحياة التديّن، حيث كانت العادات اليهودية القديمة محفوظة ومُقدَّسة وتُراعى بشدة في بيت عائلة وينبرج.

في عيد الفصح، كان الأب عادة ما يحكي لبناته المتشوقين المغزى من وراء هذا العيد عند اليهود. كان يشرح لهم كيف أن آباءهم في العصور القديمة كانوا مستعبَدين لذلك السيد القاسي الجبار فرعون ملك مصر، وشرح لهم بالتفصيل كيف أنه، في ليلة لا تُنسى، أكلت كل العائلات اليهودية في مصر خروف الفصح لأول مرة مع فطيرٍ وعلى

أعشابٍ مرة، وكيف أن كلَّ شيء تم بدقة بحسب وصية يهوه المباركْ، وتحت إشراف ذلك الشخص المشهور: موسى رجل الله. والكلُ كانوا مستعدين للرحلة بمجرد انتهائهم من الطعام الذي أكلوه بعجلة، أحقاؤهم ممنطقة وعصّيهم في أيديهم وأحمالهم على أكتافهم. في تلك الليلة طار الملاك المهلك إلى مصر، وأهلك كل أبكار المصريين من بِكر فرعون إلى بكر أصغر عبد. وأخبرهم أيضًا كيف أنّ الله أوصى بني اسرائيل – بعد تحريرهم من عبودية مصر– أن يصنعوا الفصح، أي عيد العبور، في كل أجيالهم في الرابع عشر من شهر نيسان تذكارًا لتلك الحادثة العظيمة والمجيدة.

وإذ كانت جوديت تستمع إلى والدها بكل حواسها قاطعت والدها فجأة بهذا السؤال: لماذا يا أبي أهلك الملاك أبناء المصريين ولم يهلك أبناء اليهود؟ هل كان أبناء اليهود أفضل من أبناء المصريين؟

ارتبك السيد وينبرج قليلاً بسبب هذا السؤال، ولكنه أجاب "نعم يا ابنتي لقد كان أبناء اليهود أفضل في عيني يهوه من أبناء المصريين. في الحقيقة أن كل اليهود كانوا أفضل من

المصريين، ولذلك اختارهم الله ليكونوا شعبه، ولكي يعبدوه هو الله الحقيقي. كل الأمم الآخرين، بما فيهم المصريين، كانوا يعبدون الأصنام وهو أمرٌ مكروهٌ لدي الله".

فقالت جوديت وقد ثبتت عينيها المتسائلتين على وجه والدها "وما هي الأصنام يا والدي؟"

أجابها والدها مبتسمًا "يبدوا أنك تريدين أن تعرفي كل شيء في آنٍ واحد يا طفلتي".

"نعم يا أبي، أريد أن أعرف كل شيء، وأنت رجلٌ طيّب جدًا وتعرف كل شيء وستحكي لي؛ أليس كذلك؟"

اشتركت معها الأختان قائلتين "نعم يا والدنا، أنت شخصٌ طيّب وتعرف كل شيء. أخبرنا ما هي الأصنام".

- الأصنام يا أولادي هو شيء يحبه الناس أكثر من الله ويعبدونه بدلاً من الله، ولكن الله "يهوه" أخبرنا عن طريق أنبيائه المباركين أن نحب الله من كل القلب ومن كل النفس. لقد كان للمصريين أصنام كثيرة؛ فعبدوا الشمس وعبدوا العجل أبيس وعبدوا التمساح، وكانوا يقدّسون نهر النيل وسجدوا لأشياء أخرى كثيرة.

❖ ولكن يا بابا لو أنني أحببتك أنت وماما أكثر من الله فهل هذا أيضًا خطأ؟

○ جوديت! إنك تسألين أسئلة كثيرة وغريبة يستحيل عليّ إجابتها في وقت واحد، ولكن ربما أفعل ذلك في مرة أخرى. والآن دعوني أخبركم كيف عاقب الله المصريين الوثنيين وأعان الإسرائيليين لأنهم كانوا يحبونه ويصلّون له وحده.

واستمر السيد وينبرج يحكي لبناته قصة الكتاب المقدس عن خروج بني إسرائيل من مصر، موضِّحًا ذلك بمهارة، مضيفًا بعض القصص من التلمود والتراث القومي.

وبينما كانت جوديت تستمع بشغف، فاجأت والدها بهذا السؤال "ولكن لماذا يا أبي ذبح الإسرائيليون الحَمَل في تلك الليلة وأكلوه؟ لماذا ذبحوه؟ إن الحملان الصغيرة رقيقة وجميلة. آه إن قلوب الناس قاسية. أنا لا يمكنني أن أذبح حَملاً، ولا أنت أيضًا يا أبي، أليس كذلك؟"

○ عزيزتي جوديت..! إنك تريدين في ليلة واحدة أن تصبحي مثل جدك رَابّيا حكيمًا! من المستحيل أن

تعرفي كل شيء في وقتٍ واحد.

❖ لماذا؟ نعم، إنني أريد أن أعرف كل شيء خاصةً "لماذا كان على اليهود أن يذبحوا الحمَل في تلك الليلة".

○ وهو كذلك، سوف أرسلك مرة أخرى إلى جدّك في الريف مع والدتك في الصيف المُقبل، وهناك تستطيعين أن تسألِيه عن ذلك الحمَل وعن كل ما يشغل تفكيرك؛ فهو يعرف كل شيء وسيوضِّح لك كل الأمور.

عند سماع هذا الوعد أضاءت وجوه الفتيات فَرَحًا وهتفن "إلى جدنا.. إلى جدنا".

كانوا تقريبًا يزورون بيت الجد سنويًا مع أمهم، وأحيانًا تستمر الزيارة لعدة شهور في المرة الواحدة. وكانت جوديت تذكر جيدا كيف أن كثيرًا من الرَابّيين كانوا يترددون على بيت جدها، وكانوا غالبًا أكبر منه سنًا، ولكنهم كانوا مثله حكماء ومُبجّلين، ولاحظت أنهم كانوا دائمًا في حوارات تستمر أيامًا بطولها وأحيانا تمتد إلى طول الليل أيضًا.

أحيانًا كنت تسمعهم يتحاورون بصوتٍ عالٍ، وكثيرًا ما كانت تُذكر أسماء مثل "موسى" و"يسوع". وبالارتباط

بالاسم الأخير كانت تُذكر أوصاف مثل "المُخادع" أو "الدجّال" وتعبيرات أخرى مماثلة. ولذلك كانت جوديت شغوفة جدًا أن تعرف من هو الشخص الذي يتكلمون عنه، ولكنها كانت تخاف أن تسأل جدها عنه، مع أنها كانت تود بشدة أن تعرف من هو ذلك الشخص "يسوع" الدجّال. أما الآن فالأمر مُختلف، فإذ قد سمح لها والدها أن تسأل جدها بحرية، فستسأله عن كل شيء.

جاء الصيف وأُغلِقت مدرسة الفتيات وبدأت الإجازة الصيفية، وتستطيع العائلة الآن أن تهجر المدن المُترِبة إلى نقاء وجمال الريف.

بعدما بدأت العطلة الصيفية، بدأ أيضًا الصخب يملأ بيت عائلة وينبرج، فبالقرب من الباب الأمامي كانت تقف العربة الواسعة التي يجرّها جوادان أصيلان. كانت العربة يكاد يملأُ نصفها العديد من الصناديق وحقائب السفر المتنوعة الأحجام. كان الحوذي، الذي تعوّد على هذه الرحلات المتكررة، يرتِّب الحقائب بحيث يسمح بمكانٍ مناسب لراحة الراكبين.

كانت أصداء الضحكات المرحة ترن في البيت، بينما

الأطفال يجرون صاعدين ونازلين على سلالم المنزل؛ فواحدة قد نسيَت أين وضعت عروستها، والأخرى لا تتذكر أين وضعت الحقيبة التي تحوي هدايا الجد والجدة. كلُ شيء كان منقلبًا رأسًا على عقب في الغرفة.

لم تعرف الأم ماذا تفعل في البداية فقد كانت الفتيات يُردْن أن تساعدنها وتساعدن الخادمة في ترتيب الأشياء اللازمة للسفر، وفي نشوتهن بهذه المهمة كُنّ يُعرقِلن إحداهن الأخرى، كما كنّ يعرقلن الأم والخادمة. وبطريقةٍ ما، وَجدَ الحذاءُ المدهون للتو طريقه إلى إحدى الحقائب مع أفضل الثياب. أما قُبّعة السيدة وينبرج فلم يوجد لها أثر حتى عُثر عليها بعد نصف ساعة في حقيبة عدّة السفر.

أخيرًا جلست السيدة وينبرج مع بناتها في العربة مُنهكة ومُتعبة جدًا، أما السيد وينبرج فلم يذهب فقد كان العمل يتطلب وجوده بالمدينة.

ومع توديعه إياهم ملوحًا بيديه لزوجته وأطفاله أعطى تعليماته الأخيرة للسائق، وهكذا انطلقوا.

* * *

كان البيت الجميل المكون من طابقيْن والمُقام في وسط الغابة يبدو متغيرًا اليوم. كان مالكه – السيد وينبرج – تاجر الأخشاب، رَابّيا موقرًا، وكان رغم تقدمه في السن نشيطًا جدًا قادرًا على إدارة أعماله. ولعدة سنوات عاش منفردًا هو وزوجته في هدوء الغابات؛ فقد تزوج ولداه وأصبح لكل منهما عائلته الخاصة، وكل منهما كان ناجحًا في مشاريعه يعيش في مدينة بعيدة. ولذلك فقد كان الهدوء يخيّم عادة على منزل السيد وينبرج، وأحيانًا كان السيد وينبرج يقضي أيامًا بأكملها خلف الأبواب الموصدة في مكتبه أو حجرة دراسته وأمامه التوراة والتلمود. أما اليوم، فصوت خطوات الأطفال النشيطة تُسمع في كل أرجاء المنزل وصوتُ ضحكاتِهم الرنانة تملأ كل الحجرات.

فتح الأحفاد الثلاثة، بعد وصولهم مع أمهن من المدينة، كل الهدايا التي أحضروها للجد والجدة المحبوبيَن، وكانت كل واحدة تحاول إبداء قيمة هديتها ونفعها، مما أضحك الجميع وملأ البيت سرورًا. وبدأن يحكين كل الأخبار الحديثة خاصة أخبار النجاح في المدرسة.

وبدأ وقت سعيد جدًا للأطفال في بيت الجد بدون أعباء الدراسة، فكانوا يقضون أيامًا بأكملها يمرحون في الحقول والغابات ويجمعون أصنافاً من الورود والأزهار التي غطت الأرض بألوانٍ مختلفة جميلة. وهكذا كانوا يتنعمون مع أصدقائهم القدامى بحياة الغابة الرائعة.

بعد وصول هؤلاء الضيوف الصغار بمدة قصيرة، حضر رَابّيان صديقان للسيد وينبرج من مدينة مجاورة، وكانا منشغليْن طوال الوقت في مناقشات دينية، بينما كانت الأم والجدة والطفلتان منهمكين في مشاغلهم الخاصة. أما جوديت فهي الوحيدة التي لم تكن منشغلة في الأمورالعادية، لقد انفلتت من أختيها خلسة وعادت إلى البيت. كانت تحاول جاهدة أن تكون قريبة من الرَابّيين بقدر المستطاع، وأن تسترق السمع لتلتقط ما استطاعت من الكلمات. لاحظ السيد وينبرج وجود حفيدته الفضولية، وفضّل أن تذهب لتلعب مع أختيها لأن حديث الرَابّيين لن يكون مستساغًا لدى الطفلة. لم تُسَر جوديت بهذا الأمر، فقد كانت تفضّل حديث الرَابّيين الآن عن غناء الطيور، غير أنها لم تجرؤ على الاعتراض في وجود الضيوف؛ ولذلك فقد غادرت الحجرة بهدوء.

ولكن مما استجمعته من الحديث، أدركت أنهم كانوا يتحدثون عن الله وعن الشريعة وعن شخص يُدعى "يسوع "؛ فقررت أن تسأل جدها عن هذا الأمور بمجرد خروج الضيوف. وإذ تذكرت حديث والدها معها في عيد الفصح الفائت، شعرت بالسرور لأن والدها سمح لها أن تسأل جدها كل الأسئلة التي تدور بخلدها، والآن قد وافتها الفرصة.

عقب تمشية قصيرة بعد العشاء، أوت جوديت إلى الغرفة المشتركة مع أختيها. كانت ليلة دافئة، ورائحة الأزهار الزكية تملأ الغرفة من خلال النوافذ. وفي الحال خلدت الطفلتين إلى النوم إذ كانتا منهكتيْن من كثرة التجوال في الغابات. غير أن جوديت لم تستطع أن تنام. كان عقلها نشيطًا جدًا، فقد أيقظها الحديث عن الله وحديث جدّها مع الرَابّيين لمدة طويلة. وحتى الآن أيضًا تأتيها أصواتُهم عبر النافذة، وتستطيع أن تميّز صوتَ جدّها الذي يرتفع أحيانًا إلى صيحة غاضبة، والآخرون أيضًا كان يبدو أنهم منفعلون وغاضبون، ولكن بنومها على السرير لم يكن ممكنًا أن تميّز تفاصيل الحديث. وبدأ شغفها يزداد أكثر كثيرًا. تُرى في أي الأمور كانوا يتناقشون؟

كانت جوديت تعرف أنه ليس لها شأن بهذا الحديث، بل إنه ليس من الواجب أن تحاول أن تعرف. ولكنّ الفضول انتصر أخيرًا؛ فقامت من سريرها وتوجهت إلى النافذة المفتوحة. كان تحتها مباشرة نافذة مفتوحة بحجرة الدراسة الخاصة بجدها، والآن هي تستطيع أن تسمع كل كلمة بوضوحٍ تام. ومن اللحظة الأولى استطاعت أن تفهم أنهم يتكلمون عن "يسوع" الذي كان جدهنّ يكرر ذكره كثيرًا. سمعتْ واحد من الرَابّيِيْن يؤكِّد أن **يسوع هو بالحقيقة المسيا الموعود به لأسرائيل** الذي لم يعرفه اليهود ورفضوه. وكان جدها والرَابّي الآخر يحاولان جاهدان أن يثبتا أنه مجرد محتال مخادع. وكان كل جانب منهما يرجع إلى نبوات موسى والأنبياء اليهود. وأحيانًا كانت المناقشة تحمى جدًا، وفي الحال اكتشفت جوديت أن جدها والرَابّي الذي يوافقه، إذ لم يجدا حجة لرأيهما، بدأا يصيحان بغضب، بينما الشخص الآخر يطلب منهما الهدوء ويتكلم بمنطق، وطلب منهما أن يفتشا الكتب بأكثر تدقيق وبدون تحيّز. وقال "ربما يأتي الوقت الذي فيه ندرك ونعترف بالخطإ القاتل الذي ارتكبه أباؤنا، وإذ نندم ونتوب نقبله كالمسيا الموعود به الذي عن

جهل منا قد رُفض و احتُقر".

تقريبًا كان الليل قد انقضى بينما كانت جوديت جالسة على عارضة النافذة مستغرقة في الاستماع إلى تلك المناقشة. بعد المناظرة كانت جوديت قد استنتجت أنه في يوم ما وفي مكان ما قد وقع خطأ مروّع من اليهود ما زالت نتائجه قائمة حتى اليوم، وأن بعض الرَابّيين فقط هم الذين يعرفون ذلك، ولسبب ما يتكلمون عنه في سرية تامة غير راغبين أن يُعرف هذا السر عند الآخرين. والآن لقد فهمتْ أن شعبَ اليهود قد رفض مسياه.

وفي نفس الوقت لقد حصلتْ على إجابة – بطريقة غير مقصودة – للسؤال الذي كانت شغوفة أن تعرف إجابته والذي سألته لأبيها قبلاً "لماذا كان اليهود يذبحون حملاً بريئًا في تلك الليلة التي لا تُنسى يوم خروجهم من أرض مصر". لقد سمعتْ الرَابّي الذي كان يُعارض جدَها ويعارض الرَابّي الآخر يقول إن ذلك الحمل كان يشير رمزيًا بالنبوة – كما تشير كل الحملان التي تُذبح في أعياد الفصح – إلى "يسوع" الذي تكلم عنه النبي أشعياء في الأصحاح الثالث والخمسين. لقد ذُبح

الحمل عوضًا عن اليهود في الليلة التي أهلك فيها الملاك أبكار المصريين، وهكذا أيضًا كان يجب أن يموت الحمل "يسوع" عن اليهود حتى لا يهلكوا بآثامهم.

سمعت جوديت جدها يسأل "إذا كا ن هكذا فما واجبنا نحن؟ ماذا علينا أن نعمل؟"

أجاب الرَابّي "المستقبل سوف يعلّمنا ماذا نفعل. أما الآن فعلينا أولاً أن نكون صادقين، وأن نفتّش الكتب بتدقيق أكثر وبدون تحيّز. وأنا متأكد أنها ستعلِّمنا ماذا نفعل في هذه المسألة؛ فهذه المسألة هي شديدة الأهمية بالنسبة لأمتنا وتحتاج إلى دراسة جادة وعميقة وتقدير شديد".

وبينما بدأ الجانب الشرقي من السماء يصطبغ باللون الأحمر الذهبي، والطيور تحرك أوراق الشجر بالقرب من البيت فتَسمعُ حفيفَها، والنسيمُ يهب باردًا؛ كانت جوديت ما تزال جالسة فوق عارضة النافذة تستمع إلى المناقشة في تفكير عميق.

استيقظت أختها الصغرى وسألتها "جوديت! لماذا لا تنامين؟"

فوجئت جوديت بالسؤال، وإذ لم ترد أن تقول الحقيقة أجابت "استمعي يا روث.. فكم جميلٌ هو غناء الطيور".

أجابت روث ضاحكة وهي تجذب الغطاء "النوم عندي أجمل من غناء الطيور كلها".

أجابت جوديت وهي تعود إلى سريرها "معكِ حق يا أختي الصغيرة النائمة".

وإذ كانت مُتعبة بعد ليلة سهرٍ، تشعر بأن جسمها مخدَّر من البرد، استسلمت إلى نومٍ متقلقل. وفي نومها استمرت تستمع إلى الرجال يتناقشون عن "يسوع". كان قلبُها يعتصر ألمًا وهي تفكر كيف أن اليهود كانوا قساة جدًا وقتلوه. ذلك الحمل الوديع البريء. أنهم ذبحوه وهو الذي جاء يحمل الخير والفرح لشعبه. وبدأت تدافع عن يسوع في حُلمِها، وبدأت تتوسل إلى جدها وجدتها وأبيها وأمها وإخوتها وكل اليهود أن يقبلوا ويعترفوا بيسوع المسيا الموعود به. وبدا لها أنها يجب أن تكون قادرة أن تقنعهم كلهم بذلك، ولكن فجأة صاح جدها في وجهها غاضبًا بعينين ناريتيْن "مُرتدة.. مهرطقة، لقد هجرت إيمان آبائك، مثلك يجب أن يُرجم."

مسكينة جوديت، لقد ارتعبت من جدها الغاضب وكلماته الجارحة، فاستدارت بسرعة لكي تهرب منه. وإذ أحدثت حركة سريعة؛ استيقظتْ من نومِها. فلما فتحت عينيها رأت أمها بجانب السرير تنحني عليها في لهفة "ماذا حدث لك؟ هل حلمتِ حلمًا سيئًا؟ مع من كنت تتعاركين؟ لقد تكلمت كثيرًا وكنت منفعلة جدًا. لقد كان النظر إليك صعبًا"

o آه يا أمي العزيزة لقد رأيتُ أناسًا كثيرين حولي، وكنت أرغبُ أن أقول لهم إنهم يجب أن يحبوا الله أكثر ويطيعوا الأنبياء الذين تكلم إلينا الله عن طريقهم.

❖ ما أغرب هذه الأحلام التي تزعج طفلتي! اتركي هذه الأمور لجدك وللرَابّيين الحكماء، دعيهم يفكرون في الله أما أنت وأنا فلنفكر في شيء آخر.

سألتها جوديت مستفهمة "ولكن لماذا يا أمي يجب أن تُترك هذه المسائل للرَابّيين فقط، لماذا لا يهتم بها الآخرون أيضًا؟"

❖ نعم نعم يا بنتي الغالية من حق أي شخص أن يعرف الله ويتكلم عنه ولكن يجب أولاً أن يدرس التوراة والأنبياء بتدقيق؛ فبدون هذا، من المستحيل أنّ أحدًا يفهم

أو يحكم بالحق عن الله. جدك والرَابّيين الآخرين يعرفون التوراة والأنبياء جيدًا.

o ولكن هل تعتقدين يا أمي أنه من الممكن أن ندرس التوراة وفي نفس الوقت نفشل في معرفة الله ولا نطيعه؟

❖ عجبًا يا جوديت! فكم أنت فتاة غريبة حقا! من وضَع في عقلك هذه الأفكار؟ دعينا نترك هذه الأفكار لوقتٍ آخر والآن هيا اسرعي فاليومُ يومٌ جميل وموعد الغذاء قد حان تقريبًا، أما الفطور فقد ولّى موعده من مدة طويلة. ولقد أرسلتُ روث لتستدعيك، ولكنها قالت إنك لم تنَمي ليلة أمس لأنك كنت تستمعين إلى غناء عصافير الليل واقترحتْ أن نتركك تنامين لمدة أطول.

احمرّ وجه جوديت وهي تقول "حقًا أنا لم أنم تقريبًا ليلة أمس، ولكنني نمت الآن نومًا كافيًا وسأكون جاهزةً في دقائق".

مع هذه الكلمات أحاطت جوديت عنق أمِّها بذراعيها وغمرتها تقبيلاً.

* * *

كان يومًا سعيدًا جدًا فالكل، بما فيهم الجد والجدة، سعدوا بنزهة جميلة بعد الظهيرة.

كان الضيوف الرَابّيين قد سافروا وغادروا المدينة منذ الصباح الباكر ولأن جوديت لاحظت أن جدها كان مجهدًا إذ لم ينم طيلة ليلة أمس فقد أجلت أسئلتها لوقتٍ أكثر ملاءمة حتى لا ترهقه بها. كان في قلبها أسئلة كثيرة ولكن أهمها هو أن تعرف **أين و متى** عاش "يسوع" وكيف كانت حياته وكيف مات. هذه الأسئلة كانت تلهب عقلها أكثر من أي أسئلة أخرى.

مرت عدة أيام بدون حوادث تُذكر، ولكن في ليلة دافئة اجتمعت الأسرة في الشرفة بعد العشاء كالعادة وكانت أغاريد الطيور تملأ الجو حولهم.كان الأطفال يلعبون بينما النسوة يتحدثن، وجلس السيد وينبرج في كرسي واسع مريح من الخزيران. كانت عيناه تتأملان الشعاعات الأخيرة من الشمس الغاربة، وهنا قررت جوديت أن تكون هذه هي فرصتها لتتكلم.

o لماذا تنظر مفكرًا نحو السماء ياجدي هل أنت تفكر في السماء؟

❖نعم يا ابنتي لقد كنت أفكر في السماء في هذه اللحظة.

○ جدي العزيز..أرجوك أخبرني شيئًا عن الله والسماء، فقد أخبرني أبي وأمي أنك قرأت كثيرًا وتعرف أشياء كثيرة. وأنا أيضًا أريد أن أعرف عن الله. ولقد قال لي أبي أنه يمكنني أن أسألك عن أي شيء أريد معرفته، فهل تسمح لي يا جدي؟

❖لقد قرأتُ ودرستُ كثيرًا في حياتي ويسرُّني أن أجيب على تساؤلاتك.. فما هي الأسئلة التي تزعجك كثيرًا؟

○ كثيرٌ الذي أريد معرفته، فهل أبدأ مباشرةً؟

قاطعتهم والدة جوديت مشاكَسةً "إنها الأسئلة الفلسفية الكثيرة عن الله مرة أخرى. لقد أتعَبْتَنا بهذه الأسئلة المتكررة. لو كانت ولدًا لأصبحت أحكم ربيّيٍ عاش على هذه الأرض"

○ من فضلك يا أمي، إنني لا أضايقك الآن بأسئلتي. إنني أريد أن أكون تلميذة جدي المجتهدة، وأعد أنني سأستمع بكل تركيز إلى كل ما يقوله.

وهكذا اقتربت جوديت بكرسيها إلى جدها، واضعة يديها

المتشابكتين على ركبتيه، ورفعت عينيها إلى وجهه قائلة "انتهت المقدمة.. والآن نبدأ الأسئلة".

أجابها بلطف "من المفضَّل أن تبدأي الأسئلة وإلا فستمتد المقدمة إلى موعد نومي".

o حسنًا إذًا.. أولاً وقبل كل شيء: من هو يسوع؟ أي نوعٍ من الناس كان هو؟ أين عاش هو وماذا حدث له؟

علت وجه الرَابّي العجوز الرصانة والجدية، ونظر بصرامة إلى وجه الطفلة وهو يقول لأمها "معك حق. إن جوديت تشغل بالها بأفكار جدية بزيادة."

o لماذا يا جدي؟ هل هذا سؤال جاد وصعب؟ لقد كنت أظن أن كل الأسئلة سهلة وبسيطة عندك. لقد قال والدنا أنك تعرف كل شيء.

❖ أنت تعرفين يا ابنتي أن هذا السؤال ليس صعبًا في ذاته، ولكن هناك بعض الأسئلة تكون غير مفيدة لكل الأشخاص. ولكن إن كنت متشوقة أن تعرفي فسأخبرك.. منذ حوالي ألفي عام، عاش آباؤنا في فلسطين، تلك الأرض الغالية التي أعطاها إياهم الله نفسه. في ذلك الوقت لم يكونوا

مشتتين في كل أنحاء المسكونة كما همُ اليوم".

قاطعته جوديت متعجبة "لماذا؟ أليست روسيا هي وطننا؟"

❖ لا يابنتي، روسيا ليست وطننا. إنها وطن الأمم* الوثنيين. إن وطننا الحقيقي هو فلسطين الذي أعطانا إياه الله. هناك عاش أباؤنا وملوكنا العظماء وأنبياؤنا: وفي الفترة الأخيرة من وجودنا في ذلك الوطن كان البلد محكومًا من الأمم الرومانيين الذين كانوا أقوياء جدًا في ذلك الوقت وكانوا قساة جدًا وظلموا آباءنا. كانوا غاضبين جدًا لأننا نعبد الله الحي الحقيقي الذي خلق السماء والأرض ولا ننحني أمام أصنامهم. لقد كانت أيام عصيبة لليهود لأن الرومان كانوا أقوى منهم. ولكن الله أعطى شعبه الوعد الرائع أنه في الوقت المعيّن سيرسل لهم مسيحه؛ المسيا الذي سيحرِّر اسرائيل من كل مضايقيه وسيملك مع شعبه على كل المسكونة.

هذا الوعد عاش وسيظل يعيش في قلوب شعب الله. وكل أنبيائنا المحبوبين، بدايةً من موسى، تكلموا عن هذا

* يقصد بالأمم كل من هم ليسوا يهودًا.

الوعد. وبعدما تشتَّت أباؤنا الأولون بمدة قصيرة، ظهر شخص يهودي، وهو ابن نجار فقير من الناصرة، وادّعى أنه المسيا الذي تكلم عنه الله بفم كل أنبيائه وهذا الشخص يُدعى "يسوع".

كثيرٌ من اليهود انخدعوا فيه وانقادوا وراءه، وقدّروه كمن هو ابن الله، وهاجت كل أرض فلسطين بسببه؛ إذ زاد تأثيره على الشعب بسرعه كبيرة، وظل أتباعُه ينتظرون يومًا فيومًا أن يُعلن نفسه ملكًا على اسرائيل، وأن يجعل تلاميذه حكامًا وأمراء على امبراطورية عالمه. ولكن حكماء ذلك الوقت رأوا في تعليمه وتأثيره دمارًا عظيمًا على الأمة. لقد تنبأوا أنه لو نما إلى علم الرومان أخبار هذه الحركة فمن الممكن جدًا أن يأتوا ويدمروا مدينة أورشليم العظيمة والهيكل المجيد فخر الأمة كلها

لذلك فقد دعوا إلى عقد مجلس استشاري خاص لحكماء أورشليم، وكانت الغاية هي أن يجدوا وسيلة لدرء الخطر القادم. وهنا جاءت المشورة الحسنة من رئيس الكهنة الفطِنْ والشريف بأنه من المناسب أن يموت شخصٌ عن الأمة ولا تهلك الأمة كلها. فقَبِلَ معظم أعضاء المجلس

مشورته الحسنة. وهكذا تقرر أن يُقتل يسوع المحتال. في ذلك الوقت كان ذلك المحتال في الجليل مع عدد كبير من تلاميذه، ولكن كان من المتوقع قدومه إلى أورشليم في عيد الفصح.

كانت المؤامرة حكيمة وناجحة أيضًا، على الرغم من معرفة أتباعه بها، غير أنه لم يكن خائفًا لأنه كان يعتمد على تأييد وحماية الجموع. لكن الشيوخ كانوا حريصين جدًا في تنفيذ خطتهم، وإذ خافوا أن تقوم الجموع لحمايته فقد قرروا أن يقبضوا عليه ليلاً. وقدّم واحد من أتباعه، لم يكن راضيًا عنه، خدمة جليلة إذ وعد أن يخون سيده.

كان اسم تلميذ ذلك المحتال هو "يهوذا" فدلّ الرجال الذين أرسلهم رؤساء الكهنة إلى مكانه السري في بستان جسثيماني، حيث كان يسوع يقضي معظم الليالي مع تلاميذه. وفي تلك الليلة قُبِض عليه، أما أتباعُه فبدلاً من أن يدافعوا عنه عند القبض عليه، هربوا كل واحد بقدر ما يستطيع.

وعمل رؤساء الكهنة والشيوخ والحكماء كل ما يستطيعون ليأتوا ببيلاطس الحاكم الروماني إلى أورشليم ليوقّع حكم الموت الذي قرره السنهدريم على يسوع؛ إذ لم يكن لآبائنا في

ذلك الوقت حتى سلطة تنفيذ أحكامهم على المجـرمين. يـا لعظم العار والهوان الذي كان فيه اليهود حينئذ!

عندما تثبّت الحُكْم أخيرًا بواسطة بيلاطس، أخـذوا يـسوع خارج أورشليم، وهناك سمرّوا يديه ورجليه بواسطة مسامير غليظة في صليبٍ كبير من الخشب.. وهناك مات يسوع.

كان من المفروض أن يُلقى جسده في وادي هنّوم، كما هو جدير بمجرمٍ نظيره، ولكنّ خطأً قاتلاً حدث في ذلـك الوقـت بسبب إهمال الشيوخ، إذ أن واحدًا من أتباعه السريين، رغـم كونه عضوًا في السنهدريم، ذهب إلى بيلاطس وتوسّل إليـه أن يأخذ جسد يسوع من على الـصليب، قبـل أن يـستطيع المجلس أَخْذ الخطوة الصحيحة بهذا الشأن. وهكذا أخذ ذلـك التلميذ جسد يسوع ودفنه في قبره الموجـود ببـستانه قـرب أورشليم، كما هو جدير بشرفاء وأغنياء الشعب.

بعدما حدث هذا أصبح الوقت متأخرًا جـدًا لكـي يعمـل الشيوخ أي شـيء دون معـاداة الحكـام، ولكـنهم كـانوا يتذكرون جيدًا أن يسوع كان قد قال للشعب إنهم إذا قتلـوه فسوف يقوم من الأموات. في هذا رأى الـشيوخ خطـورة

شديدة عليهم وعلى شعبهم، وقد خافوا أن يأتي رفقاؤه ويسرقون جسده ويأخذونه إلى مكانٍ آخر ويدّعون قيامته من الأموات كما قال سابقًا. وليمنعوا حدوث هذا الأمر؛ فقد أرسلوا وفدًا إلى بيلاطس يخبروه بمخاوفهم فيجهّز كتيبة أمنية من العسكر لضبط القبر.

عسكرَ الحراس حول القبر، وهدأ كل شيء، وبدأ الشعب ينشغل باستعدادات أفراح عيد الفصح. غير أن تلاميذه لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل بدأوا في العمل. وفي إحدى الليالي، نجحوا في تنويم العسكر، أو ربما أخافوا أولئك الأممم الذين يعتقدون في الأرواح الشريرة، لدرجة أنهم صاروا مشلولين من الرعب. وعندما عادوا إلى رشدهم وجدوا أن الختْم الذي على القبر مكسورًا، والحجر الكبير الثقيل مدحرجًا بعيدًا عن فوهة القبر، والقبر خاليًا تمامًا. لقد سُرقت الجثة، ولا أحد يعرف أين هي حتى يومنا هذا.

عندئذ أذاع أتباعُه هذا الخبر: أن يسوع قام من الأموات. بعد ذلك حملوا هذا الخبر إلى كل العالم، وكانوا يؤكِّدون أنهم رأوه بعد قيامته وأنه تكلم معهم.

بل إنهم قالوا إنهم رأوه صاعدًا إلى السماء كابن الله. بالطبع هذه كانت خدعة بارعة ولكن ولا واحد من حكماء الشعب الواعين صدَّقها قبلاً، أو يصدقها اليوم أيضًا".

بهذا أنهي الرَابّي وينبرج قصته عن "يسوع".

كانت جوديت تستمع بأنفاس متلاحقة إلى تلك القصة المثيرة عن تاريخ "يسوع". وبعد عدة دقائق من الصمت، رفعت عينيها إلى جدها قائلة، بصوتٍ منخفض متهدجٍ من الانفعال "ولكن ماذا إذا كان يسوع فعلاً هو ابن الله المسيا الموعود به لأسرائيل؟"

وإذ تذكرتْ كلمات الرَابّي الذي كان يجادل جدها منذ أيامٍ قليلة أضافت "ماذا إذا كان قد مات كحمل الله عن شعب اليهود وعن كل شعب الأرض؟"

قفز السيد وينبرج منزعجًا عند هذا السؤال، ونظر إليها بعينين متوهجتين غاضبتين، ناسيًا أنها ليست إلا صبية في الثالثة عشر من عمرها، وليست ربّيًا عجوزًا، فخرج عن طوره صائحًا "من وضع هذه الأفكار التجديفية في عقلك؟

أين كُتِب أن يسوع ابن نجار الناصرة الفقير هو مسيا اليهود؟ المسيا يجب أن يأتي من عائلة داود النبيلة الشريفة".

جلست جوديت أمام جدها الهائج الغاضب وقد اصفر وجهها وارتعشت من الخوف؛ فهي لم تَرَ أبدًا في حياتها شخصًا هائجًا غاضبًا بهذا المقدار، ولم تفهم لماذا كل هذا الهياج؛ ما الذي أغضبه إلى هذا الحد. إنها لم تقُل شيئًا يثيره إلى هذه الدرجة.

إذ نظر الجد إلى وجه حفيدته المرتعب عاد إلى نفسه، ولكي يصلح ما بدا منه من انفعال، أضاف في صوت لطيف ودود "طفلتي الغاليه.. لقد ظللتُ طوال حياتي أحارب خرافات عديدة تهدد أمّتنا، وكل ذِكْر لأي خرافة تثيرني للغاية، خاصة عند ذِكْر يسوع هذا الذي يعبده المهرطقون ويعتبرونه مسياهم ابن المبارك. وأنا أعلم أنك دعوته ابن الله عن جهل، ولا تعلمين ما تفعلين. ومع ذلك فمن الخطإ الشديد أن تقارني ذلك المحتال بالمسيا المجيد الذي ننتظر مجيئه بشوق في المستقبل القريب".

o جدي.. أنا لا أعلم إن كان هو المسيا أم لا، أنا فقط أشعر

بحزنٍ يفوق الوصف أنهم قتلوه.. ذلك البريء الذي قتلوه كما قتلوا الحمل البريء في مصر. لذلك أنا أسأل إذا ما كان هو المسيا أم لا. ربما حدث خطأ من شعبنا.

أجابها الرَابّي "لا يا عزيزتي جوديت.. إن الرَابّيين الحكماء في ذلك الوقت لا يمكن أن يصدر منهم خطأً كهذا. ولو كان هذا صحيحًا فقد كان لديهم الوقت الكافي والفرصة المُتاحة ليدركوا خطأهم ويتداركوه بالتوبة وقبول تعليمه".

سألته بلهفة "وهل بقيَ شيء من تعليمه بعد موته؟"

❖نعم.. نعم. هناك كتاب يقول أتباعه إنه يحوي تعليمه. غيرأن هذا الكتاب، بالإضافة إلى تلاميذه، هم أفضل دليل على أنه لم يكن المسيا ابن المبارك؛ بل إنه ببساطة ليس إلا محتالاً.

○كيف يمكن أن تلاميذه أنفسهم يقولون أنه ليس المسيا. أنا لا أستطيع أن أفهم هذا.

❖أوه يا ابنتي.. أنت في الحقيقة أكثر فضولاً مما ذكرتْه لي أمك، ومن الواضح أنكِ تريدين معرفة كل شيء مرة

واحدة. ومع ذلك، فهذا السؤال أستطيع توضيحه لك بسهولة، وأرجو أن تفهميه. انظري حولك ولاحظي الناس الذين نعيش بينهم، كل الناس هنا في روسيا وأيضًا في البلاد الأوروبية الأخرى و في أمريكا يسمّون أنفسهم مسيحيين؛ أي أتباع يسوع – ماعدا قليلون جدًا– وكم يبغض هؤلاء المسيحيون اليهود، بينما هم أتباع شخص يهودي. لقد كان هناك وقت كانوا فيه يقتلون اليهود في مذابح جماعية بعشرات الآلاف. وحتى اليوم، فإنّ شعورُهم من نحونا ليس أفضل. لقد عشتُ هنا في روسيا خلال بعض برامج الحكومة ضد اليهودية، عندما كانوا يقتلون اليهود بدون أي جريمة أو شكوى ضدهم.

وإلهنا الرحيم وحده يعلم أي خطط يدبّرونها لنا في المستقبل. منذ أعوامٍ قليلة فقط صدر كتاب يحمل هذا العنوان "بروتوكول حكماء صهيون"، كتبه بعض الخوَنة المنحرفين. وفي هذا الكتاب ألقوا باللوم الشديد على اليهود على أنهم يسعون لتدمير كل حكومات العالم، وأننا نخلق الهياج والثورات، وأننا متهمون بكوننا سبب شقاء

هذا العالم. هذا الكتاب استدعى منا عقد عدة برامج مُضادة، ومن يدري ماذا سيكون تأثيره في المستقبل.

كل هذا جاء علينا رغم إخلاصنا للبلاد التي انتشرنا فيها، فقد كنا سبب نفع وبركة كثيرة لها.

ومؤخرًا ابتدعت الحكومة ما أسمته "محاكمة بلليس". فلأن مجموعة من اليهود المنحلين اغتالوا ولدًا مسيحيًا يُدعى "أندرو يوشينيسكي" أثناء واحدة من حفلات مجونهم، الآن تريد الحكومة أن تُلقي بالتهمة على السيد "بللليس"، باعتباره ممثل اليهود، على أنه قتل شخصًا مسيحيًا ليستعمل دمه في إقامة الشعائر اليهودية.

وخلال المحاكمة كانت هناك محاولات لتثبيت هذه التهمة "أن اليهود يقتلون المسيحيين ليحصلوا على دمائهم لاستخدامها في الشعائر اليهودية". كل هذا يحدث لكي يغرسوا الكراهية في قلوب الجموع من نحونا بغرض تدميرنا، وكل هذا يتم عن طريق أتباع "يسوع" المسيحيين.

لو كان يسوع هو مسيا اليهود، لعلّم تلاميذه أن يحبوا شعبنا. ولكن هذا ليس كل شيء يا حبيبتي. إنهم يكرهون

حتى بعضهم بعضًا، لقد مرت أوقات حين قامت بينهم أقسى الحروب الدموية؛ بلد مسيحي ضد بلدٍ آخر، فيقتلون بعضهم بعضًا بأعدادٍ غفيرة، وكانوا يحرقون أحدهم الآخر بربطه في الوتد، ويلعنون بعضهم بعضًا بأشنع اللعنات، ولقد دمروا مدناً وبلادًا بأكملها. هؤلاء المسيحيون أبادوا الملايين من رفقائهم أتباع المسيح خلال القرون الفائتة، وكثيرًا ما كان يحدث ذلك فقط لأنّ فريق منهم لا يؤمن بيسوع بنفس الطريقة التي يؤمن بها الفريق الآخر أو لاختلافهم في فهم بعض تعاليم يسوع. من هذا نستنتج أن تعليمه لم يأتِ بشيء صالح وفشل أن يجعل من أتباعه رجالاً أو نساءً أفضل. لقد ظلوا غلظاء القلب، أممًا عطشى إلى الدم، يبغضون بعضهم بعضًا حتى الموت.

همست جوديت "آه كم هو فظيع. كم هم فظعاء أتباعه. إنهم أردياء وقساة تمامًا كاليهود عندما قتلوا يسوع. إنهم ليسوا مثله على الإطلاق. أنا لا أريد أبدًا أن أتبع أي شخص إذا كان ذلك سيؤدي بالناس أن يكونوا قساة وبلا قلبً. إذا كان تعليمه يجعل تلاميذه يبغضون اليهود ويقتلون بعضهم

بعضًا فبالطبع لا يمكن أن يكون هو مسيا اليهود. أنت كنت على حقٍ يا جدي في غضبك عليّ. أنت ترى أنني لم أكن أعرف شيئًا عن أتباعه الأردياء. أرجوك سامحني لأنني فكرت ذلك الفكر أن يكون هو المسيا، إنني أريد أن أخدم إله آبائي وأكون صادقة وأمينة له كل أيام حياتي؟"

بهذا أحاطت جوديت عنق جدها بذراعيها وغمرت وجهه ولحيته البيضاء بالقبلات.

نظر السيد وينبرج إلى زوجة ابنه التي جلست في هدوء تراقب الاثنين قائلاً "إنني أدرك الآن أنه كان ينبغي أن تعرف جوديت هذا الأمر من قبل. أنا لم أظن أبدًا أن مثل هذه الأفكار الخطيرة تتعب عقلها الصغير."

كانت ألوان الغروب البهية قد اختفت منذ مدة، والنسيم أصبح باردًا.

قالت الأم مقترحةً "والآن أيها الأطفال، لقد حان موعد النوم، وإلا فستُبقينا جوديت إلى الصباح بفضولها. إنها تُتعِب جدكم أكثر من اللازم."

وبعبارة "طابت ليلتكم" التي دارت بينهم، خلد الجميع إلى النوم.

مضى بعض الوقت قبل أن تنام جوديت؛ فإن قصة جدها عن حياة يسوع وعن موته وعن أتباعه الأردياء الذين قتلوا بعضهم بعضًا وأبغضوا اليهود، شغلت عقلها فلم تستطع النوم في الحال. وانتهت بهذه النتيجة "لا.. لا يمكن أن يكون هو المسيا، وجدي له كل الحق أن يجادل الرَابّي". وأخيرًا نامت جوديت وقد شعرت بالرضا؛ فقد عرفت صحة الأمور التي كانت تشغل بالهًا جدًا.

وكانت الحياة البسيطة الواضحة ومحبة أمها ومحبة الآخرين الذين يحيطون بها لها أكبر الأثر على نزع الشكوك والأفكار الجادة والخطيرة عن الله وعن "يسوع". وأثناء وجودهم في بيت الجد، كان والدها يترك عمله في المدينة ويحضر في أيام الآحاد والأجازات ليقضي أيامًا سعيدة مع عائلته في بيت الجد، وهكذا مرت الأيام هادئة في سلام.

كان الرَابّيون يكرِّرون زيارتهم مرتين في العام. ومرة

أخرى يقضون أيامًا طويلة وليالي بدون نوم في المناقشات والمجادلات. لاحظتْ جوديت هذا ولكنها لم تعد شغوفة حتى أن تستمع إليهم، ولكنها عندما كانت تسمع المناقشات الساخنة تستنتج للتو أنهم يتحدثون عن "يسوع". كانت سعيدة أن جدها بعلمه الغزير كان قادرًا أن يثبت لهم أن "يسوع" ليس هو المسيا. وكانت تطيّب قلبها في تلك اللحظات أفكارٌ مشجعة، فتقول في نفسها "كم حظّنا سعيد أنّ لدينا محامون أقوياء وأمناء يُحامون عن إيمان آبائنا مثل جدي".

٢

اللاجئ

الحرب العالمية - الهروب من البيت - البيت الجديد

أعوامٌ قليلة على الأحداث التي ذكرناها وبدأعام ١٩١٤؛ العام المصيري لأوروبا. كان هناك شيء من الاضطراب وعدم الراحة بين المسؤولين، وحتى بين السكان في المدن الحدودية. كان الاقتصاد ضعيفاً، وكان الناس يتحدثون عن غيمة الحرب القاتمة التي تظلل سماء أوروبا. ولأن عائلة وينبرج كانت تقطن بالقرب من الحدود الألمانية، فقد كانت تشعر بعدم ارتياحٍ كبير، ولم يستطيعوا أن يقرِّروا ما

إذا كان بإمكانهم ترك المدينة هذا الربيع لزيارة والديهم أم لا.

وأخيرًا جاء اليوم المخيف، في الأول من أغسطس، عندما هبَّ إعصار الحرب على البلد. وبسرعة توقدت البلاد كلها بنيران الحرب لسنوات كثيرة. وعبرت القوات الألمانية حدود روسيا المعزولة السلاح تقريبًا، وغزت المدن والقرى. وكانت القوات الروسية تتحرك في طوابير لا تنتهي من داخل البلاد إلى الحدود لتحمي البلاد. وهرب السكان الآمنين من بلادهم الغالية المحبوبة في عجَلة، حتى أنهم لم يستطيعوا حَمل حتى الأشياء الهامة التي تخصّهم.

كانوا يتحركون في جماعات كبيرة خلال مختلف الطرق، من مدنهم الحدودية إلى داخل البلاد، متلهفين على ترك المناطق التي ابتليت برعب الحرب بأسرع ما يمكن. لم يفكر أحدٌ في استخدام القطار؛ لأن السكك الحديدية كلها كانت مخصصة لنقل الجيش والذخيرة الحية، وكانت القطارات في عودتها تُحَّمل بالجرحى والمعاقين الذين بذلوا صحتهم وحياتهم من أجل بلادهم. قدّمت الحكومة يد العون بقدر ما تستطيع للعناية بآلاف الجنود الذين جُرحوا في ساحة القتال،

ولم يكن هناك أي مجال لخدمة المدنيين الذين كانوا مُجبَـرين أن يجدوا طريقة لأنفسهم من أجـل نجـاتهم. كـان النـاس البائسون بلا مأوى، يتحركون من هنـا إلـى هنـاك كحمـم البراكين، يبحثون عن أي طريقة للهـروب. وكـان منظـرًا مألوفًا أن ترى أطفال يبكون لفقد والديهم، وآباء لفقـد أبنـائهم أثناء الفرار. في حالات كثيرة كانوا يجدون بعـضهم بعـضًا بعد سنينٍ عديدة، ولكن في حالات ليـست بقليلـة لـم يـروا أعزاءهم مرة أخرى.

بين هذه الحمم البركانية كانت عائلة وينبرج. لقـد تركـوا ممتلكاتهم لمصيرها، ولكن استطاع السيد وينبـرج أن يأخـذ بعض مئات من الروبيلات التي كانت متاحـة لديـه وقتهـا. والآن هو يسير هو وزوجته وبناتـه الـثلاث فـي الطريـق المُترب، مع آلاف البائسين من اللاجئين، باحثًـا عـن مكـانٍ أمينٍ متوغلاً داخل البلاد.

كانت لديهم رغبة واحدة فـي قلـوبهم، وهـي ألا يفقـدوا أحدهم الآخر، وأن يسرعوا بقدر ما يـستطيعون بعيـدًا عـن الحدود وعن طلقات المدافع التي كانت تهز الأرض.

بعد أربعة أيام من السير الشاق المرهق في الطريق الموازي لخط السكك الحديدية، استطاعوا أن يستقلوا، وإن كان بصعوبة شديدة، أحد قطارات الشحن. لقد كانوا في غاية الإجهاد بسبب الجوع والسير الطويل، ولكنهم الآن يستطيعون أن يستريحوا ولو إلى حد ما، فجلسوا على الأرض بقرب باب العربة المفتوح. وكانت العربات تهتز اهتزازًا شديدًا من جنب إلى جنب بسبب سرعة القطار الفائقة. وكانت كل عربة تزدحم ازدحاما شديدًا باللاجئين المنهكين المشرَّدين. وبالرغم من أن الركوب في قطار الشحن هو شيء سيء للغاية، إلا أن الركاب كانوا مسرورين أنهم يبتعدون سريعًا عن مناطق الخطر إلى مكان أكثر أمانًا.

بالقرب من عائلة وينبرج كان هناك أطفالٌ قد فقدوا والديهم وآباء فقدوا أولادهم في الطريق العام. هؤلآء كانوا ينتقلون من محطة إلى الأخرى ولا يدرون إلى أين، ولماذا، هم ذاهبون. كان كل شخصٍ متلهفاً أن يمضي بعيدًا جدًا عن الحدود الألمانية وعن مدى القذائف المشتعلة.

كان دافيد وينبرج وعائلته مسرورين وشاكرين الله أنهم لم

يفقدوا أحدهم الآخر في الطريق، ولكن كانت قلوبهم ممتلئة بالحزن من أجل والديهم الذين يعيشون في منطقة تبعد حوالي ثلاثين كيلومترًا عن الحدود الألمانية؛ إذ لم تكن لديهم الفرصة الكافية للفرار قبل أن تحتل القوات الألمانية منطقتهم. ولكن القلق البالغ والهمّ الشديد الذين أصاباهم ألهاهم بعض الشيء عن هذه المشغولية، فقد شغلت عقولهم المصيبة الفادحة التي كانوا يرزحون تحت ثقلها.

بعد أن سافروا لعدة أيام، واستراحوا قليلا من السير الطويل، بدأت الأسرة تفكر في السؤال الحتمي: أين ستختار العائلة المكان الذي يسكنون فيه سكنًا مؤقتًا إلى أن يعبر إعصار الحرب ويعودوا مرة أخرى إلى بيتهم؟

كان الجميع في ذلك الوقت يتوقعون أنه بعد أشهر قليلة سيعبر إعصار الحرب ويستقر الأمن والأمان في البلاد.

بعد عدة مداولات، قررت عائلة وينبرج أن تختار مدينة "ج" لبيتهم المؤقت. كان العديد من اليهود يعيشون في "ج" وكان للسيد وينبرج معاملات تجارية مع بعضهم . بالطبع حملت هذه الذكريات لهم بعض الألم، حيث كان من الواضح

أن هذه العلاقات قد انقطعت الآن بفقد ممتلكاتهم، وعادت ذاكرتهم للتأمل في ما خسروه، كمستودعاتهم ومخازنهم وبيتهم الجميل والأرض التي يمتلكونها حوله. في الأغلب أن كل شيء قد نهبته ودمرته القوات العابرة، ومن الممكن أن تكون المباني أيضًا قد حُرقت. إنهم الآن فقط بدأوا يدركون أنهم أصبحوا فقراء، مشردّين ومعدمين، وعليهم أن يبدأوا كل شيء من جديد.

لم يكن هناك وقتٌ للتفكير في حالهم عندما كانوا يسرعون بالهرب مع الجموع الهاربة، ولا حتى في أربعة أيام السير المضني في الطريق السريع الرئيسي. في ذلك الوقت لم يكن يسيطر عليهم سوى الخوف الشديد من أن يأخذهم الألمان أسرى حرب، والرعب القاتل من أن يفقدوا واحدًا من أحبائهم أثناء سيرهم في الطريق. ولكن الآن، إذ يحملهم القطار عبر المدن والقرى، حيث الناس يعيشون في أمان، فإن لديهم الوقت الكافي ليفكّروا ويحزنوا لخسارتهم الكبيرة. وفي هذا الإطار كان التفكير في والديْهم العجوزيْن يقلقهم أكثر وأكثر: تُرى أين هم الآن؟ وهل سيروْنهم مرة أخرى أم

لا؟ ربما هم ليسوا بين الأحياء بعد. وسَرَتْ الإشاعات بين اللاجئين بأن الجنود الألمان لم يأسروا أحدًا حيًا، بل قتلوا الكل بأبشع طريقة ممكنة.

بينما كان السيد والسيدة وينبرج يفكران في الماضي، كانت قلوبهم مثقّلة من جهة المستقبل. لقد كانوا محظوظين أن استطاعوا أخذ بضع مئات الروبيلات معهم، ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة للمستقبل؟ فقد ضاع جزء منها في الرحلة، والباقي قليل جدًا. كيف إذًا سيعيشون؟

جوديت كانت وقتها قد أمضت عامين فقط بالكلّية، وأختاها الصغيرتان كانتا بالثانوي؛ وإذْ كان الوالدان قد عزما ان يوفِّرا لبناتهما أفضل تعليم متاح، فقد أحزن قلبهما الأبوي الآن أن هذا الغرض لايمكن أبدًا أن يتحقق. في تلك الأثناء كانت الفتاتان الصغيرتان يسليان نفسيهما. لقد بدا أنهما بلا هم، إذ وقفتا بالقرب من باب العربة المفتوح يشاهدان المناظر المتغيرة للقرى المختلفة بينما القطار يمر عليها مسرعًا. كان حديثهما المرح وضحكاتهما السعيدة تملأ العربة كلها، وتزيح التعبيرات الحزينة من وجوه عديدة.

غير أن جوديت كانت كثيرًا ما تترك أختيها لتنضم إلى والديها. كانت تنظر إليهما مشفقةً بعينيها السوداويْن الجميلتيْن. كانت تبلغ حينئذ السادسة عشر، وبذكائها أستطاعت أن تدرك حجم المشكلة التي يعاني منها والداها الحبيبان. ولم يمكنها أبدًا أن تشترك في الحديث الضاحك مع أختيْها دون أن تفكر تفكيرًا جديًا في المستقبل. لكنها كانت تنظر إلى المستقبل نظرة أكثر إشراقًا من أحبائها، فمنذ نعومة أظفارها تعلمتْ جوديت كيف أن الله أعان الآباء في أوقات الضيق، وهي وتؤمن الآن أن الله لم يتغير أبدًا، وإذا كان الله قد أعان الآباء قديمًا فمن المؤكد أنه سيعينهم في هذه الأيام، أيام الحزن والعَوَز.

استندت جوديت على قائمة باب العربة وهي تشاهد القرى والمدن التي تختفي عن ناظريها بسرعة كبيرة، وعادت بمخيلتها عبر القرون إلى أرض مصر، وتأملت كيف أن آباءها الأولين في ليلة واحدة منطقوا أحقاءهم وحملوا حقائبهم البدائية على أكتافهم وأمسكوا عصيّهم في أيديهم وجمعوا أولادهم حولهم، وإذ تركوا بيوتهم خلفهم غادروا البلاد التي

عاشوا فيها قرونًا من الزمان.

وبسرعة، وبذهنٍ متوقد، أخذت تقارن وضعهم الحالي مع الأحداث الغابرة في تاريخ بني اسرائيل. "نحن الآن لاجئون مثلهم تمامًا، فنحن أيضا قد تركنا بيوتنا وكل ما هو عزيز لدينا. هناك سلك آباؤنا في البرية منذ آلاف السنين، ونحن أيضًا نسلك كما في برية لا نعلم أين نذهب ولا ماذا نفعل. هذا البلد الواسع هو بالنسبة لنا الآن برية، ولكنني أثق أن يهوه الذي سار مع آبائنا قديمًا هو نفسه يسير معنا الآن، وأتوقع أنه سيقودنا أيضًا إلى أرضٍ تفيض لبنًا وعسلاً." ثم همست في قلبها "كم هو عظيمٌ ورائعٌ إلهنا".

وبهذا الفكر، رفعت عينيها إلى السماء الزرقاء الصافية، حيث ظهرت أول أضواء النجوم اللامعة. كانت ليلة صيفٍ جميلة، لكن بقرب الباب كان النسيمُ باردًا؛ ولذلك فقد عادت جوديت إلى أبويها وجلست على الأرض بقرب قدميْ والدتها، وأسندت رأسها على ركبتيْ والدتها. احتضنت الأم ابنتها الغالية في حنان بالغ تلاطفها وتقبّلها.

شعرت جوديت بقطرات كبيرة من الدموع تسقط على

وجهها، وآلمها كثيرًا أن ترى أمها الحبيبة تبكي.

فسألتها برقة "أنت تبكين يا أمي الحبيبة؟ هل تعلمين.. منذ دقائق، عندما كنت أقف بجوار الباب كنت أفكر في آبائنا الأولين عندما كانوا في مصر وكل ما اجتازوا فيه؛ فقد كانوا – في وقتٍ ما – لاجئين كما نحن اليوم، وكنت أقارن هروبهم من مصر بهروبنا نحن. أنا أعتقد يا أمي أن إلهنا العظيم المحب الذي أعان شعبنا قديمًا في وقت ضيقهم سيعيننا نحن أيضًا في ضيقتنا. ألا تظنين أنت هكذا أيضًا يا أمي؟"

أجابتها الأم "أنا لم أفكر في هذا الأمر حتى الآن يا عزيزتي جوديت". ثم نظرت باسمةً إلى زوجها الذي كان يجلس بجوارها مسندًا رأسه المُتعَب على يديه، وقالت "بابا هل تسمع ما تتكلم عنه جوديت؟ إنها تقارن الوضع الحالي لنا بهجرة اليهود من مصر. وهي تعتقد أن الله سيحضرنا إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً."

لم يستطع السيد وينبرج أن يمنع نفسه من الضحك وقال "حسنًا.. أنت يا جوديت دائمًا فرحتنا ورسول البشارة الطيبة لنا، ولكن الآن أنت أصبحتِ نبيةٌ عظيمة. حسنًا أنت

تتحدثين الآن عن اللبن والعسل، ولكن منذ أيام قليلة ونحن سائرون في الطريق المُترب كانت الآنسة جوديت تكرر أكثر من الآخرين: لو فقط نحصل على كوب ماء بارد". ثم نظر إلى ابنته الكبرى بحنان بالغ سائلاً "هل تذكرين؟"

نظرت إليه بابتسامةٍ سعيدة متألقة قائلة "نعم يا أبي. ولكن هل تذكر يا أبي أنت أن الشعب أيضًا طلب ماءً في البرية، بل إنهم تذمروا على موسى، ومع ذلك فقد حصلوا على اللبن والعسل. ونحن في حالة مشابهة جدًا؛ نحن نطلب ماءً ولكن يهوه سيمنحنا اللبن والعسل. أنا أومن بهذا يا أبي". ثم أضافت بجدّية "لقد كنت ألآحظكم أنت وأمي وأنتما تتكلمان، كنتما محزونيْن؛ مما آلم قلبي جدًا. أسفًا عليكما. لماذا يجب أن نقلق كثيرًا؟ أنظروا: ها نحن أصحاء وأقوياء، وسنبدأ العمل، والرب إلهنا سيعيننا، وكل شيء سيصير رائعًا."

أجاب أبوها "إنك تفكرين بطريقةٍ مختلفة عن أمك وعني. إذا فكرنا بطريقتك، فكل شيء سيكون حسنًا. لقد كنا أنا وأمك مُحبَطين، ولكنك الآن منحتينا قوة بواسطة إيمانك."

جاءت الأختان الصُغرتان وانضمتا إليهم قائلتيْن بصوتٍ

واحد "نعم يا والدنا، نحن أيضًا نريد أن نعمل لنحصل على معيشتنا".

وقالت سارة، أصغر الثلاثة "سأكون أنا مندوبة المبيعات في محلكم التجاري."

وأعلنت روث "وسأكون أنا حائكة الملابس؛ فأنا أحب الحياكة."

فردت جوديت بسعادة "حسنًا، إذا كنا سنقرر هنا الآن وظائفنا فسأخبركم أنا أيضًا ماذا سأفعل.. أنا سأختار وظيفة معلّمة لأنني مُغرمة بالأطفال."

ظلت عائلة وينبرج تسافر لأكثر من سبعة أيام. أربعة أيام سيرًا في الطريق، ثم استقلوا قطار الشحن. هذا غير الأوقات الطويلة المرهقة التي كانوا يقضونها على أرصفة السكة الحديد المختلفة لتبديل القطارات.

أخيرًا وصلوا مقصدهم، وكان السيد وينبرج قد أرسل برقيات إلى بعض معارفه في "ج" ليعرّفهم بوصوله؛ فجاء هؤلاء الأصدقاء ليستقبلوهم بالمحطة. وقد قابلوا أولئك اللاجئين بأرق وأحلى المشاعر. وبسرعة تأقلمت عائلة

وينبرج بالظروف الجديدة في تلك المدينة المكتظة باليهود. وبمعاونة أصدقائه المادية، استطاع السيد وينبرج في وقت قليل افتتاح محل كبير للبضائع الجافة. وبحلول الشتاء كانت العائلة قد استقرت في حي جميل، مستريحة، ولا ينقصها شيء من الإمكانيات، وأكملت الفتيات الثلاث تعليمهن في معاهد خاصة بالتعليم. وشعرت العائلة بالاستقرار العائلي بين الأصدقاء في عالم الأعمال.

في الثلاثة شهور الأولى، كانت العائلة لم تزل تأمل في العودة إلى البيت في الغرب في وقتٍ ليس ببعيد، وكان الوالد دائمًا يتابع الأخبار في الجرائد باهتمام عن ظروف الحدود. في بداية أيام الحرب كان الناس يتوقعون انتهاء الحرب في مدة لا تزيد عن ثلاثة شهور، ولكن بمرور الوقت أدركوا أنها حربٌ طويلة ومستعصية. وأخيرًا تخلّت العائلة عن أملها في العودة وفي رؤية بيتها، وبدأت تتأقلم مع الوضع الجديد، عالمةً أن ممتلكاتها قد ذهبت بلا عودة. وهكذا استقرت بهم الأمور لخيرهم.

والآن بدأ السيد وينبرج يجتهد بأكثر حماس في عمله،

بينما الفتيات يجتهدن في دروسهن، وكانت الأم تهتم بالبيت والبنات يساعدنّها بعد الدراسة، إذ لم يحضر معهم أيٌّ من الخدم بعد فقدان ثروتهم.

مرت سنتان، وأصبح أفراد عائلة وينبرج مواطنون دائمون في مدينة "ج"، وكانوا في أعمالهم ناجحون جدًا، وتمتعت العائلة بقوة ماديًا دون الحاجة لمعاونة الأصدقاء. كبرت البنات، خاصة جوديت، التي كانت دائمًا فخر والديها والفتاة المُفضَّلة في المجتمع اليهودى. وبقلب الأم الفخور، كانت السيدة وينبرج تخبر زوجها أحياناً أنه لا توجد فتاة في مجتمعهم يمكن مقارنتها بجوديت.

كانت جوديت قد أنهت دراستها بالكلية هذا العام، ولأنها كانت التلميذة الأولى في تقديراتها فقد حصلت على الميدالية الذهبية، وكان من المقرر أن تلتحق بالجامعة في الخريف القادم، ولكن الظروف أجبرت الوالدين مؤخَّرًا أن يفكرا بطريقة مختلفة بالنسبة لابنتهم المحبوبة.

كانت عائلة "برنستاين" هي أكثر العائلات قُربًا لديهم منذ وصولهم إلى "ج". كان السيد برنستاين تاجرًا كبيرًا للبضائع

الجافة، وكان عمله ناجحًا مزدهرًا. كانوا يلتقون كثيرًا، ولأكثر من مرة عبّر السيد والسيدة برنستاين عن رغبة قلوبهم بخصوص ابنهم سولومون وجوديت حيث لا شيء يسعدهم أكثر من ارتباط الاثنين معًا. كان سولومون، وهو الابن الوحيد لعائلة برنستاين، شابًا جذابًا موهوبًا، وقد كسب قلب عائلة وينبرج منذ اليوم الأول الذي التقوا به فيه. كان سولومون قد أنهي دراسته الجامعية هذا العام وهو الآن مقيم مع والديه.

في البداية كانت عائلة وينبرج لا تعلّق على هذه التنويهات، ولكن كانوا عندما ينفردون وحدهم يتناقشون في هذا الأمر.

كانوا يرونْ أن سولومون مناسبًا جدًا لابنتهم، وأنه لن يكون لشخصٍ آخر قبولٌ عندهما أكثر منه. وبملاحظتهما، وجدا أن سولومون وجوديت يحبان بعضهما بعضًا، وأنهما يكثران الجلوس معا؛ مما جعلهما يفكران أكثر في مستقبل ابنتهما.

وفي أحد الأيام في شهر أغسطس، جاء سولومون لزيارة

عائلة وينبرج ليطلب يد ابنتهما.

كانت عائلة وينبرج قد أحبَت هذا الشاب منذ تعرفهم بعائلته، وإذ أدركا أن ابنتهما تحبه أيضًا فقد وافقا في الحال، وأُعلِن خبر ارتباطهما للأصدقاء، وتقرر أن يُعقد حفل الزواج في الربيع المقبل.

كان الفرح يعم الجميع: جوديت، سولومون، الوالدين، والأخوات. ووضعت جوديت فكرة استكمال الدراسة جانبًا؛ لأنها تود أن تبقي مع أمها في البيت إلى أن تغادر المنزل في الربيع المقبل لتنضم إلى عائلة أخرى.

بدأت الأم تشعر بثقل على قلبها بسبب فكرة أن ابنتها العزيزة سوف تتركها. كانت متعلقة بجوديت حتى أنها كانت لا تتخيل الحياة بدونها. لكن ما كان يعزّيها هو أن ابنتها سترتبط بشخص محترم مثل سولومون، بل وأحيانًا كانت تشعر بالفخر الشديد كأم.

٣

اطلبوا تجدوا

أشواق الروح – إجتماعات إنجيلية- المبشر

المسيح: المسيا – سلام مع الله

ولّى الصيف وبدأ الخريف، وأصبح الجو كئيبًا باردًا، والحقول والمراعي التي كانت مُغطّاة ببساطٍ جميل من الورود والنجيل أصبحت الآن أرضًا قاحلة مُغطاة بالعشب الأصفر الجاف، ولم تعُد الطيور تغرّد في الغابات المجاورة للمدينة، ولم تعد هناك سوى الريح العاصفة التي تحرك بشدة قمم الأشجار الخالية من الثمار.

في تلك الأيام، كانت جوديت كثيرًا ما تنعزل عن رفقة الآخرين وتختلي بنفسها في منتزه المدينة. وأحيانًا كانت تتجوّل لساعاتٍ طويلة بين الأشجار، تتأمل الأوراق الصفراء والبنّية التي تغطي الأرض وتخشخش تحت قدميها عندما تطأها. كان هناك ألماً يعتصر قلبها في تلك الساعات المنعزلة. تُرى لماذا كان هذا الألم وتلك الأشواق؟ إلى أي شيء كانت تتوق تلك الروح الصغيرة؟

جوديت نفسها لم تعرف الإجابة على هذه الأسئلة. لقد كانت محبوبة من الكل، وهي في المقابل كانت تحب أعزاءها جدًا؛ وماذا تريد أكثر من هذا؟ ومع ذلك، ففي تلك اللحظات كانت تتوق إلى حبٍ أعظم، حب يأتي من أعلى، من السماء لا يتغير ولا يضمحل.

قصفت الريح آخر ورقة بنيّة من الشجرة فسقطت عند قدميها، فالتقطتها وقبّلت الورقة الجافة. إنها لا تعلم لماذا شعرت بالحزن من أجل الورقة. لقد بدا لها أن شيئًا غاليًا وقريبًا إلى قلبها قد سقط.

وتفكرت متأملة "كل حياتنا هي مثل هذه الورقة الذابلة.

اليوم نحن شباب، نحن نحب ونحن محبوبون، وغدًا ستعصف بنا الريح الباردة وسنذبل ونجف ووننحني، ثم تهبّ ريح أخرى فتفصلنا عن فرع الحياة، ومثل هذه الورقة نقع على الأرض ونختلط بالتراب، وربما تسير فوقك قدم أحدهم أنت أيضًا يا جوديت".

كانت تنطق آخر كلماتها عندما اقشعرت من صوت كلماتها. ملأ قلبها شعور بالرهبة عندما نطقت هذه الكلمات وأخذت تؤنب نفسها "أنت فتاة غريبة جدًا.. ولكن أليست الحياة تتكون من أمور غريبة وعجيبة؛ فظواهر كثيرة ما زالت غير مفهومة حتى الآن وأسرار كثيرة لا حل لها. تُرى كيف ستنتهي حياتي؟ هل ستكون مثل هذه الورقة التي تقع وتتحلل؟ أو... هل هناك شيء بعد القبر؟ وإذا كان، فما هو؟ كثيرون يعتقدون في خلود الروح والحياة بعد الموت، ولكن لا أحد يعرف شيئًا عنها؛ فمثلاً جدي أيضًا لا يعرف... ربما قد جاءت ساعته منذ زمن طويل وغادر هذا العالم حاليًا.. تُرى أين هو الآن؟ لقد قرأ و تكلم كثيرًا عن الله. وهل من الممكن إذا كان هناك "الله" أنه لم يكشف أي

شيء عن ذلك الوجود الأبدي للإنسان الذي خلقه. لقد كان جدي يعتقد أن يسوع لم يقُم من الأموات، ولكني سمعتُ وقتها أن البعض يظنون، بل يؤمنون إيماناً راسخاً، أنه قام من الأموات، وأنه أيضًا سيقيم من الأموات كل الذين يؤمنون به وأنهم سيحيون إلى الأبد. كل هذا محيّر. إن عالمنا مملوء بالألغاز. نحن نعيش كما في حلم، في دوامة. إنني أتساءل ما إذا كان هذا الجوع إلى المعرفة في قلبي هو إلى هذا اللغز بالذات. أليست هذه الأوراق الميتة تخبرني عن سر هذا اللغز بلغتها التي، وإن كنت لا أفهمها بعقلي، ولكنني أدركها بقلبي."

ثم تساءلتْ بصوتٍ مرتفع "أين هو الحل لكل هذه الألغاز؟" وردد الصدي كلماتها، حاملاً إياها عبر أشجار المنتزه.

ثم همستْ بارتعاش وهي تستدير "ما أفظع هذا المكان الذي هو مقبرة الأوراق الميتة"

وهكذا، بهذه الأفكار، غادرتْ المنتزه وعادت إلى البيت.

كانت جوديت تنتابها بكثرة مثل هذه الأفكار مؤخرًا.

كانت روحُها تتوق إلى النور، إلى الحق، إلى الحياة.

أحيانًا كانت تُفضي بمتاعبها إلى سولومون عندما يكونا وحدهما، وكان هو في أمورٍ كثيرة يستطيع أن يفهمها جيدًا. ولكنه كان يهوديًا غير متدينٍ أو متعصبٍ، فمع أنه نشأ بين والدين متدينيْن، إلا أنه لم يكن يؤمن بالله. ومع أنه كان يشارك جوديت في كثير من أفكارها وطموحاتها، إلا أنه لم يستطع أن يفهمها أو يشاركها في أشواقها من نحو الله ورغبتها في معرفة المزيد عنه. ومع ذلك لم يعتبرها مهرطقة لأنها تختلف عنه في أفكارها من جهة بعض الطقوس اليهودية. كان عدم إيمانه البارد يحزنها أحيانًا، ولكنها كنت تطيّب قلبها بأنه سيتغيّر في النهاية وسيؤمن بالله.

مرت الأيام مسرعة، وبدل الخريف حلَّ شتاء روسيا القارص، وتغطت السهول والمراعي والغابات بالثلج، كما بملاءة بيضاء. كانت بلورات الثلج النقية البيضاء تملأ الجو، وتتزل ببطئ على "الأرض الأم"، كما لو كانت تريد أن تغطيها جيدًا وتحميها من الصقيع.

انشغلت عائلة وينبرج في الشتاء بإقامة الحفلات أو زيارة

الأصدقاء في الليالي الطويلة، ومع الوقت بدأوا ينسون أكثر وأكثر فقدانهم لبيتهم الأول وممتلكاتهم الكبيرة، فقد كانوا قانعين وسعداء في المكان الجديد. فقط جوديت كانت مكتئبة وحزينة، فلا المسارح ولا أية تسليات استطاعت أن تملأ الفراغ الذي تشعر به أو تشبع رغبة قلبها العميقة.

كانت تذهب في بعض الأحيان إلى اجتماع اليهود، ولكن الخدمات هناك كانت غريبة عليها ولم تلمس قلبها، ولم تفهم إلا القليل مما كان يقرؤه الرَابّي أو قائد جوقة الترنيم.

في ذلك الوقت استعرت الرغبة في قلبها أن تتعرف على بعض الأديان الأخرى. كان هناك، بخلاف اليهود، مسيحيون أورثوذكس كثيرون في روسيا، كما كان هناك لوثريون، وأعداد قليلة من البروتستانت. وجميعهم كان لهم كنائسهم وبيوت صلاة خاصة بهم. فقررت جوديت أن تذهب لحضور بعض الخدمات هناك، ولكنها وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن تنفذ ما قرَّرته؛ فقد كانت تدرك تمامًا أن ذهابها ولو مرة واحدة إلى تلك الاجتماعات أو بيوت الصلاة سيجرح الأحاسيس الدينية لدى والديها، هذا بخلاف أن

ضميرها هي أيضًا كان يتعبها؛ فهي لم تكن متأكدة ما إذا كانت ترتكب خطية أمام يهوه إذا ذهبت إلى بيت صلاة مع أناس يكرمون "يسوع" المحتال ويعتبرونه ربًا لهم.

ثم فكرت متأملة "على أي حال إذا كان يهوه بالحقيقة كلّي العلم فهو يرى قلبي ويعرف أنني أريد أن أعرفه أكثر وأخدمه أفضل ولن يدينني لأنني أريد أن أعرف كيف يؤمن الناس الآخرون ويصلّون.

في ذلك الوقت كانت جوديت تتذكر كثيرًا زميلتها في الكلية "إليزابث مارش" التي كانت ابنة راعي الكنيسة البروتستانتية الروسية، وكانت فتاة مسيحية مكرّسة، وإذ تفكرت بها، تذكّرت كيف كانت فتاة مثالية متواضعة، وقد أحبّتها منذ بدء معرفتها بها. كان هناك شيء واحدٌ يفصل بينهما، وهو الدين. كانت إليزابيث تنتهز كل فرصة ممكنة لتتكلم معها عن يسوع، أوتقدّم لها كتابًا أو نُبَذًا عنه، بينما كانت كل الفتيات اليهوديات يتعاملن مع إليزابيث باحتقار ويسمونها فيما بينهم "الوثنية" و"الأممية". وبسبب هؤلاء البنات، لم تستطع جوديت أن تقترب أكثر إلى إليزابيث، بينما

في شعورها الداخلي كانت مستعدة أن تستبدل كل زميلاتها التافهات بهذه الفتاة "الأممية".

ولاحظت جوديت أن إليزابيث تحبُّها أكثر مما تحبِّها الأخريات، وهي تتذكّر ذات مرة عندما نظرت إليها إليزابيث في محبة بعينيها الزرقاوين الجميلتيْن وقالت بأسف "كم أشعر بالأسف يا جوديت أنك لا تؤمنين بيسوع المسيح ولا تأتين إلى اجتماعاتنا الروحية لتسمعي عنه، لكني أريدك أن تعرفي أنني أصلي من أجلك منذ عرفتك، وأنا أطلب من الرب أن يفتح قلبك ويعطيك أن تؤمني به. وأنا أؤمن أنه سيستجيب صلاتي، وأنك يومًا ما ستؤمنين به وستصبحين تلميذته وأختي المحبوبة في المسيح."

هذه الكلمات كانت تبدو غريبة جدًا في ذلك الوقت، بل إنها اغتاظت وشعرت برغبة أن تقول لها إن يسوع هذا كان محتالاً ومسيا مزيفًا، ولكن لسبب ما لم تستطع أن تقول هذا؛ إذ كانت صديقتها تتكلم بإخلاص شديد وتؤمن به بقلب صادق، ولذلك فكل ما قالته لها هو أنها كيهودية لا يمكنها، ولن يمكنها أبدًا، أن تؤمن بيسوع.

جلست جوديت في غرفتها الدافئة المريحة تشتغل بالتطريز بينما هي مستغرقة في عالم الذكريات. أخيرًا أخذت تحدث نفسها "كم هي غريبة هذه الأمور؟! فمن الواضح أنّ ليس كل أتباع يسوع متشابهون ويبغضون اليهود ويقتلون بعضهم بعضًا، كما قال جدي، فقد قالت لي إليزابيث مرة أن كثيرين من أعضاء كنيستها والذين كانوا مجنّدين بالجيش، قُتلوا وأُلقوا في السجن لأنهم رفضوا أن يرفعوا أيديهم على رفقائهم ويقتلونهم؛ وذلك – كما قالت – لأن يسوع علّمهم أن يحب بعضهم بعضًا، بل وعلّمهم أن يحبوا الأعداء أيضًا. وهذا بالتأكيد أمرٌ لا أستطيع أن أفهمه." ثم رفعت عينيها عن التطريز وأنهت تفكيرها بهذا الرأي "على أي الأحوال أنا لم أعد طفلة تصدّق كل ما يقوله لها الآخرون، وأفضل شيء أن أبحث وأعرف كل شيء بنفسي."

ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ إن اتخاذ القرار أهْوَن كثيرًا من التنفيذ. لأن خطوة واحدة بدون حذر قد تسبب عاصفة هوجاء، ليس في البيت فقط لكن في كل المجتمع اليهودي، وسوف يعتبرونني مرتدة.

أخذت تفكِّر: هل ينبغي أن تقول لسولومون؟ إن هذا هو أفضل شيء تفعله، ولكن كيف له أن يقبله؟

ثم علت وجهها ابتسامة مضيئة: إنها تعوَّدت أن تُفضي إليه بكل أفكارها ومتاعبها، وكانت متأكدة أنه سيفهمها وسيجد مخرجًا لمشاكلها. وبالرغم من أنها أصبحت مقتنعة أكثر وأكثر أنه لا يؤمن بشيء، إلا أنها كانت متأكدة أنه لن يتدخل ولن يحاول هدم إيمانها بالله.

كان ذلك اليوم يبدو طويلاً جدًا لها، وبالكاد استطاعت أن تنتظر إلى المساء حين يأتي سولومون كالعادة ليراها ولو لدقائق معدودات، وانتظرته بصبر متلهفة أن تخبره برغبتها في التعرف على المعتقدات الدينية للآخرين.

أخيرًا، في الثامنة مساءً، جاء سولومون مع والديه. وبسرعة انقسمت المجموعة إلى فِرق صغيرة. سارة وروث اللتان لم ينهيا تعليمهما بعد، اختْارا ركنًا مريحًا ليذاكرا في هدوء. الرجال كانوا يتناقشون في أمور التجارة والأحداث الأخيرة في روسيا، بينما أخذت الأمهات الاثنتان تتحدثان عن أمور البيوت والعائلات وأخبار المدينة. فقط جوديت

وسولومون كانا منشغلين في حديث كان غريبًا على بيت عائلة وينبرج.

بعد وصول الضيوف، قالت جوديت لوالديها وهي تبتسم "اليوم ستُحرمون من وجود سولومون معكم كل المساء، فنحن سنعقد مؤتمرًا هامًا جدًا."

سألها أبوها ضاحكًا "أنتم لا تخططون للهروب منا إلى أمريكا. أليس كذلك؟"

أجابت جوديت "لا لا ياوالدي ولكن هناك أمرٌ أفضل جدًا من الذهاب إلى أمريكا. أمر أكثر أهمية من ذلك". ثم استدارت نحو سولومون قائلة "تعال يا سولومون، دعنا نتركهم يتحدثون فيما يشغلهم؛ فأنت لي وحدي كل هذا المساء."

❖وهو كذلك يا جوديت، فأنا تحت أمرك، وعلى استعداد أن أستمع إلى كل ما تريدين أن تخبريني به. و إذا كنت تخططين للهروب فسنهرب سويًا. أليس كذلك؟

o بالتأكيد، فأنا لن أذهب بدونك.

بهذه الكلمات، توجَّه الاثنان، جوديت وسولومون، إلى الغرفة الملحقة، حيث وجدا لهما ركنًا مريحًا. وإذ كانا وحدهما، فتحت جوديت قلبها وأخبرته بكل ما يشغل بالها.

o هل تعلم يا سولومون إنني الليلة منشغلة بقضية هامة جدًا وأريد أن أخبرك بما يشغلني مؤخرًا. لذا أرجو أن تستمع لي جيدًا من البداية. ثم سامحني إذا كانت رغبتي تبدو لك حمقاء. فهل تعدني أولاً أنك ستغفر؟

❖ بالتأكيد يا عزيزتي جوديت. فهيا أخبريني عن كل ما يشغل رأسك الصغير، وسأكون سعيدًا أن أساعدك إذا استطعت. فمن الأسهل أن نحل نحن الإثنان المشاكل الصعبة من أن تحليها بمفردك.

o حسنًا، فسأخبرك إذًا بكل شيء.. انت تعلم يا سولومون أنني أؤمن بالله من كل قلبي، وأنا أرغب بشدة أن أحفظ هذا الإيمان إلى الأبد.

❖ نعم يا جوديت أنا أعلم هذه الحقيقة. ويجب أن تتأكدي أنني لست ضدها على الإطلاق، بل بالعكس أنا أقدّر تمامًا إيمانك الحقيقي، وكثيرًا ما أفكر أنه كم أنت محظوظة أن

يكون لك هذا الإيمان القلبي والبسيط من نحو الله. وربما يومًا ما سأتغير أنا ويكون لي نفس معتقداتك من نحو الله.

○ إنني بالحق أتمنى أن يحدث هذا في يومٍ من الأيام يا سولومون، ولكن الآن استمع... إننا نعرف جيدًا أن اليهود المتدينون يعتقدون تمامًا أن جميع الأديان الأخرى وثنية، وديننا يمنعنا من الشركة مع من هم أتباع أي دين آخر.. أنت تبتسم ياسولومون، يبدو أن حديث فتاتك هو حديثٌ أحمق، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي. إنه بالنسبة لي سؤال غاية في الأهمية والخطورة وليس حماقة.

❖ عزيزتي جوديت.. لم تكن كلماتك هي سبب ابتسامتي، ولكنني أفكر أي سخْف يعيشه الناس. لقد خلقوا لأنفسهم آلهة وأديان، والآن هم يفتخرون بآلهتهم وأديانهم ويرفعون أنفسهم على الآخرين، بل ويدمّرون بعضهم بعضًا بسببها. أنا لا أؤمن بوجود الله، والسبب في ذلك هو تعدّد الأديان. فإذا كان هناك إله فهو واحدٌ فقط، ويجب أن يكون هناك دين واحد فقط لكل الأمم. ولكننا نجد مئات الآلهة والمعتقدات، ومما يُؤسَف له أن كل مُجتمع ديني يعتقد أن

دينَه هو الأفضل وأنه الوحيد الحقيقي. وهذه الحقيقة تجعلني أعتقد أن كل أمة خلقت لنفسها إلهها ودينها الذيً يناسب فهمها وظروفها التي تعيش فيها. ولذلك أكرر أنك محظوظة يا جوديت أنك تستطيعين أن تؤمني هكذا ببساطة الأطفال، ولكن لا ينبغي أن تنظري إلى الآخرين كما كان يفعل آباؤنا الأولين، أو كما يفعل اليهود المتدينون حتى يومنا هذا. إذا كان هناك إله فهو إله كل الأمم وليس إله اليهود فقط.

كانت عينا جوديت المملوءتان بالحب مثبتتان على وجه سولومون وهو يقول هذه الكلمات بحماسٍ شديد، فقالت بحرارة "هذا هو عين ما كنت أود أن أن أكلمك عنه هذا المساء يا سولومون، هذا ما أثقل قلبي لمدةٍ طويلة. لقد تعلّمت منذ طفولتني أن أحب اليهود والدين اليهودي فقط، وأنظر للآخرين على أنهم أمم، وعلى أديانهم أنها بغيضة لدى الله. والآن أنا لم أعد طفلة لأؤمن بما يقوله الآخرين بلا تفكير، ولابد أن أعرف لماذا عليً أن أحب الأشياء التي تعلمت أن أحبها وأبغض الأشياء التي تعلمت أن أبغضها.

هل أنا على حق أم على غير حق؟ أنا أعرف لماذا يجب عليّ أن أحب شعبي ودينه؛ فقد سمعت وقرأت كثيرا عن تاريخ أمتي. وأنا أعرف وأؤمن أن ديننا قد أعطاه لنا الله نفسه، مع أن الكثير منه لا أفهمه حتى الآن. ولكننا هنا نعيش بين شعب آخر، ولنا احتكاك بالكثيرين منهم يوميًا، وكل هؤلاء الناس يختلفون عنا في إيمانهم، ومع ذلك فليس قليلون منهم صالحين ومحترمين. وبسبب هذه الحقائق فإن الرغبة في قلبي تزداد إلى معرفة أكبر بالمعتقدات الدينية عند الناس الذين حولنا، وأرى بنفسي خدمتهم وعبادتهم؛ حتى أستطيع أن أحكم بنفسي. إنه يبدو لي أنه من الخطإ أن أدرس الأديان الأخرى فقط من الكتب، ولكن الطريقة الأفضل هي أن ألاحظ حياة معتنقيها. ولكني أعرف تمامًا أن ذلك سيُغضب والديّ بشدة لو أنني ذهبتُ إلى أيٍ من هذه الكنائس أو إلى أحد بيوت الصلاة لأحضر الخدمة؛ ولهذا كنت أود أن أخبرك بكل هذا وأطلب نصيحتك. أنا لا أستطيع أن أسأل أبي أو أمي عن هذا الأمر؛ لأنهم سيفزعون جدًا لو عرفوا أني أفكر في هذا الأمر. لذلك سأحتكم إليك.

إذا كان رأيي في هذه الأمور خطأ فسأنسى هذا الحديث، ولكن كان يجب عليّ أن أفتح قلبي لشخصٍ ما."

كان سولومون يستمع بإصغاء شديد طوال الوقت. بدا له اقتراح جوديت بزيارة الكنائس أمرًا في غاية الغرابة، مع أنه هو نفسه لم يكن يؤمن بالله. لعدة دقائق ظل ساكناً لا يتحرك ورأسه مرتكزٌ على يديه. انزعجت جوديت عندما لاحظت التعبيرات المتغيّرة على وجهه.

بعد فترة وضعت جوديت يدها على يده وسألته لكي تكسر الصمت المطبق "ماذا في الأمر يا سولومون؟ هل أنت أيضًا تظن أن فتاتك مهرطقة أو مرتدة عن إيمان الآباء ؟"

❖لا.. لا يا جوديت، لقد شرحتُ لك رأيي في كل الأديان. ولكنه بدا لي أمرًا غير طبيعي ما تتحدثين أنت عنه، من حضور كنائس غريبة عن اليهودية. لماذا حلّت بي هذه المشاعر وأنا لا أؤمن بالله؟ أنا نفسي لا أفهم، ولكنها ربما تكون نتيجة تلك الآراء والأفكار التي نشأتُ عليها قبل أن أبدأ التفكير بنفسي. أعتقد أنه يجب أن نحفظ هذا الحديث بيني وبينك فقط. أليس كذلك يا جوديت؟ لا يجب أن

تخبري والديك بالحديث الذي قلتيه لي أو قلته لك أنا؛ لأن الله وحده يعلم أيّ أفكار يمكن أن تشغل عقولهم إذا عرفوا عنه. بالتأكيد سيقلقون جدًا. وأما بالنسبة لنا، فمن المشوِّق أن نذهب في أحد الأيام إلى بعض الكنائس والكاتدرائيات لنرى ماذا يجري هناك. أنا لم أكن أبدًا شغوفًا بمثل هذه الأمور، ولذلك فلم أذهب أبدًا إلى أي مكان سوى اجتماعاتنا، وكنت أذهب إليها فقط لكي لا أجرح مشاعر أبي وأمي.

غادر سولومون ووالديه البيت، وذهبت جوديت إلى غرفتها، ولكنّ النوم هرب من عينيها. كانت هناك مشاعر مختلطة من السرور والأسى في قلبها. فعندما كانت تلاحظ التعبيرات المتغيرة على وجه سولومون بينما هي تشرح رغبتها في زيارة بعض بيوت الصلاة، تأكدت في نفسها أنه ليس ملحدًا لا رجاء فيه، بل كانت في قلبه – رغم عدم إدراكه – محبة للدين اليهودي، مع أنه يقول أنه لا يؤمن بالله. نعم ما زال هناك رجاء أن يصبح مؤمنًا في يوم من الأيام. هذا الاكتشاف كان مصدر فرح كبير لجوديت، ولكن

على الجانب الآخر شعرت بالإحباط عندما تـذكّرت كلماتـه بخصوص إيمان الناس الآخرين أنهم أجنبيـين عـن الديانـة اليهودية. هذه الكلمات جعلتها تخشى أن يـصبح سـولومون متعصبًا جدًا في يوم من الأيام، حتى وإن كـان حاليًـا غيـر راضٍ عن موقف اليهـود المتـدينيين وقـادتهم مـن جهـة المسيحيين ودينهم. هذا ما أفزعها وملأ قلبها بحزنٍ صامت.

وبعد أن استعادت طويلاً ما دار في تلك الليلـة هتفـت "آه يا يهوه.. إذا كنت أنت كلي القدرة وكلي العلم، فأنت بالتأكيـد تعرف كل أفكار قلبي. دعني أفهمك وأفهم حقك. لا تـدعني أخطئ في جهلٍ وظلام."

وبينما هي تستعد للنوم، أخذت تفكر "مـا أغربنـي؛ فمنـذ كنت طفلة وأنا أضايق أبي وأمي بأسئلتي عن الله، والآن فقـد بدأت أضايق سولومون بها. تُرى ماذا سيظن بي بعد حـديثنا الليلة؟ حسنًا.. لا يهمني، فأنا أعرف أنه يحبني، وإن كنـتُ تحدثتُ بحماقة هذه الليلة لكنه سيغفر وسينسى. كـل إنـسان يتكلم أو يتصرف أشياء حمقاء في بعض أوقاتٍ من حياته."

* * *

مَرَّ شهران على تلك الليلة، ثم في إحدى الليالي ذهبتْ عائلة وينبرج لزيارة سولومون ووالديه، وانشغلوا معًا بحديث هام جدًا وعلى وجوههم تعبيرات جادة جدًا. وكانت السيدة وينبرج تجفِّف الدموع المنسكبة من عينيها مرارًا وتكرارًا، وكان سولومون جالسًا في الجانب الآخر من الحجرة بينما رأسه مستند بثقله على يديه وآهات مريرة تنفلت من صدره.

بعد فترة صمت قصيرة قالت والدة جوديت بحزن وهي تحاول جاهدة أن تمنع دموعها "لم يعد لي أي تأثير عليها، لا أنا ولا أبوها. لقد فقدنا عقولنا ولا نعرف ماذا نفعل. إن المصيبة التي حلت بابنتنا لا تُحتمل، ونحن نخجل أن نظهر الآن أمام الناس؛ فهي إما أن تكون قد فقدت عقلها، أو تكون قد سُحرتْ. وإزاء توسلاتنا وتهديداتنا تجيب ذات الإجابة: *أنا أعلم أنه أمرٌ وقعُه شديد عليكم، وهذا ما يؤلمني جدًا، ولكنني بالتأكيد لا يمكنني أن أتخلى عما هو حقٌ مقدسٌ بالنسبة لي، ويجب أن أطيع الله أكثر من الناس*". ثم بدأت الأم تنتحب "آه.. آه يا جوديت يا بنتي الحبيبة، هل يمكن أن

تضيعين بالنسبة لنا كلنا؟ نحن الذين نحبك بشدة."

كان الجميع يجلسون صامتين بقلوبٍ منحنية ودموعهم تنسكب مدرارًا.

وأخيرًا، تكلّم سولومون قائلاً "أنا أيضًا عاجزٌ تمامًا، ولا أعلم ماذا أفعل معها. ولكنني أتمنى أن يصير كل شيء حسنًا يومًا ما. حاولت أن أتكلم معها ثلاث مرات، وتوسلت إليها أن تترك هذا الهوَس من أجل خاطري وخاطر والديها وخاطر أُمّتها، ومع ذلك فقد كانت إجابتها واحدة: *لا يا سولومون لا يمكنني أن أتخلى. إنني أحبك وأحب والديّ وكذلك أحب أمّتي جدًا، بل وأحبها أكثر من أي وقتٍ مضى ولكنني لن أخون مخلِّصي أبدًا من أجلكم، وإلا فسيكون هذا أغبى وأسوأ فعلٍ على الإطلاق. هذا سيكون أسوأ من الانتحار؛ لأن الجسد سيفنى يومًا من الأيام، أما رفْض فاديَّ والتخلي عنه فسيكون انتحارًا للروح.* كان كلامها غريبًا جدًا، حتى إنني لم أعرف بماذا أجيبها. أعتقد أنها كانت تفكر طويلاً في المسائل الدينية مؤخَّرًا، مما أثَّر على أعصابها. ومما زاد الأمر سوءًا، ظهور ذلك الرجل المؤذي

الذي كان له تاثيرٌ فظيعٌ على قلبها الحساس. ومع ذلك، فما زلت أتمنى أن تتخطى هي كل هذا، وتعود الأمور كما كانت سابقا".

هذه الجلسة التي عُقدت في بيت عائلة برنستاين كان سببها الآتي:

بعد ثلاثة أسابيع من حديث جوديت مع سولومون عن رغبتها في زيارة بعض الكنائس والكاتدرائيات، جاء مبشر إلى مدينة "ج" وعقد اجتماعات في الكنيسة الروسية الإنجيلية. وعُلِّقت الإعلانات المطبوعة عن هذه الاجتماعات، التي ستُعقد في أحد بيوت الصلاة، في جميع أنحاء المدينة. وكنت هذه الإعلانات تتضمن دعوة خاصة لليهود، ووعدَ المسؤول بأن اجتماعاته ستكون هامة ومفيدة لليهود خاصةً. ومع أن هذه الإعلانات كانت تُمزَّق للتو بواسطة اليهود والمسيحيين الاسميين الذين هم أعداء الإنجيل الذين لم يريدوا أن يعرف الآخرين شيئًا عن هذه الإجتماعات، إلا أنه حدث أن جوديت وسولومون رأيا بعضًا منهم أثناء تجوّلهما بالشارع ذات ليلة.

قرأتْ جوديت الإعلان ثم التفتت إلى سولومون مبتسمةً تقول "هوذا يا سولومون.. لقد تحدثنا من مدة قريبة عن رغبتنا في الذهاب إلى الكنائس لنرى كيف يعبدون، والآن ها هم يدعوننا لزيارتها. يوجد مثَل روسي يقول *"حضور ضيف غير مدعو هو أسوء من الطعام الحامض"*، وأقول أن *"مدعوًا لا يحضرليس أقل سوءًا"*. أعتقد أن كثيرين من يهودنا سيحضرون هذه الاجتماعات، وبالتالي فمن الطبيعي أن لا يتعجب أحد من حضورنا نحن، وحتى لو علم والدانا فلن يثيرهما الأمر كثيرًا. هذه فرصة رائعة. أليس كذلك؟"

أجاب بمرح "أنت على حق. في هذه المرة أتفق معك تمامًا؛ فأنا نفسي متلهّف أن أعرف ماذا يقول هذا الرجل لليهود وعن اليهود. سنذهب الليلة، وسأحضر للقائك الليلة في السابعة والنصف مساء، وسنُشبع الليلة فضولك الذي سيطر عليك منذ مدة طويلة، وإن كنت أنا أيضا فضوليّ مثلك الآن."

كانت القاعة الكبيرة ببيت الصلاة مزدحمة تمامًا عندما دخلها سولومون وجوديت. وإذ نظرا حولهما لاحظا أن هناك حوالي اثنان وعشرون يهوديًا يعرفونهم شخصيًا.

وبمجرد دخولهما، وقف اثنان غريبان من المقاعد الأخيرة في الحال، وقدَّما مقعديهما للضيوف. أدهش جوديت هذا الذوق الرفيع للغريبان، حيث أنهما كانا على ما يبدو من مظهرهما عاملان بسيطان، وإذ شكرا كرمهما، جلسا.

بعد دقائق قليلة، بدأت الجوقة ترنِّم. وفي الحال مسّت نغمات وكلمات الترانيم قلب جوديت. كان هناك شيء ما بها يبدو قريبًا وعزيزًا على قلبها. شعرتْ ببساطة وصدق الكلمات. وإذ أخذت تسمع بإصغاء، أخذت تفكِّر في نفسها "لا بد أن هؤلاء الناس يؤمنون ويعبدون الله الذي يعبده اليهود، ولكن ببساطة أكثر واحترامٍ أوفر."

ورنَّمت الجوقة:

أيها الرب الإلهُ وسط أمواج البحارِ
قُدنا أنت وحدك وسط هذه الصحاري
ضُعفا نحن ولكن أنت ربنا القديرِ
ضُمَّنا لصدرِك بحنانك الكثير
وبالمن ربنا، بالمن من السما
أطعمنا.. يا إلهنا وربنا

أطلق ينابيعك من السماء
من صخرة العطايا المقدسة
وليسر أمامنا عمود النار ليلا و نهارًا
يا رب مخلصنا..يا رب مخلصنا
كن بالقرب منا كن ترسنا
نحن نقف بجوار الأردن
قدنا وسط المياه يا رب
وأتِ بنا إلى سهول كنعان
حيث يجد شعبك راحته
تسابيح الحمد والإكرام والتمجيد
ستصعد من هنا إليك

رنَّت هذه الكلمات في قلب جوديت وكأنها أصداء الأيام القديمة، ومرّ تاريخ إسرائيل بسرعة أمام عينيها، وتذكَّرت الأيام التي كان شعب الله في طريقه إلى أرض الموعد تقوده ذراعُ الرب القوية القادرة. ورنّتْ أصداءُ الكلمات الأخيرة في أرجاء القاعة.

كانت جوديت ما تزال جالسة، رأسها منحني وعيناها ممتلئتان بالدموع، أيضًا سولومون كان يستمع بجديّة وتأمُّل.

وبعد فترة وجيزة، عادت جوقة الترنيم ترنم، وكانت الكلمـــات لها تأثير على جوديت أكبر من التأثير الأول.

كانت الترنيمة تقول:

الأرض ترتعد والبرق يومض
والرعد يطوف من جهة إلى أخرى
وصوت الرب يُرعد وينادي
يا شعبي إسرائيل أسرع إليّ
إسرائيل أنت تبني لي المعابد
والمعابد تتلألأ بالذهب
والبخور العَطِر يُقدّم
واللبان يحترق نهارًا وليلاً
لماذا أحتاج معابدك؟
هل أحتاج الحجر الجامد وتراب الأرض
لقد صنعتُ الأرض والماء
والسماوات هي عمل يديّ
ما هو ذهبك لي بينما في العمق
في بطن الصخور الضاربة في القِدم
سكبتُ الماء أمطارًا
والمعادن المنصهرة بالنار

لماذا البخور بينما أمامي
الأرض وملؤها من الطرف إلى الطرف
فهل تقدّم لي رائحة الورود الزكية
ولماذا النار؟ ألست أنا
الذي أضاء الأنوار فوق رؤوسكم؟
أما أنا ألقي النجوم في ظلام الليل
كشرارة الأتون؟
التقدمة الفقيرة تقدمة تافهة
ولكن هناك تقدمة تسّر إلهك
تعال بها أمامه واصطلح
وسأقبل كل تقدماتك
ما أريده هو قلب أنقى من الذهب
وإرادة قوية في العمل
أريد أناسًا يحبون بعضهم بعضًا
ويُخلِصون لي دائمًا وفي كل مكان

كل كلمة في الترنيمة كانت تخترق عميقًا قلب جوديت، واستحضرت الترنيمة الأولى لعينيها الروحيتين صورة هجرة بني إسرائيل لأرض مصر وتيهانهم في البرية، والثانية ذكرّتها بالتاريخ المتأخر لشعبها.

وهمست لنفسها "لماذا الذبائح، لماذا الذهب، لماذا البخور؟" وبدون وعي أخذت تردد بعض أجزاء الترنيمة.

"هل الذي صنع السماء والأرض يريد منا أن نُحضر إليه ما هو أصلاً ملكه لنقدِّمه له قربانًا كما لو كان ملكنا نحن؟ نعم إن القلبَ الأنقى من الذهب والمحبة الطاهرة من نحو بعضنا البعض هي أفضل قربانٍ نقدمه له". اجتاح عقلها غمرٌ من الأفكار، ولكن لم يكن هناك وقتٌ للتأمل.

وهنا ظهرَ رجلٌ متوسط العمر، وقف على المنصة خلف منضدة مغطاة بغطاءٍ أبيض. كان وجهه يعبّر عن حماسٍ محبَّب ولدقائق (ربما ثواني) نظر بعينيه الفاحصتين التي كانتا تبدوان أنهما تخترقان أعماق قلوب الحاضرين.

وبصوتٍ قوي ثابت قال "اليوم نبدأ الاجتماع الأول لعدة إجتماعات نقرأ فيها كلمة الله ونشرحها بحسب الإعلان الذي قرأتموه. ولكن قبل أن نقرأ من هذا الكتاب الثمين- كتاب كل الكتب- الذي أعطانا إياه الله نفسه. إنني أدعوكم جميعًا للمشاركة معنا في الصلاة لله لكي ينير عقولنا لكي نفهم كلمته. نحن ليس لدينا أمور منظورة لعبادتنا كما ترون،

ونحن لا نحتاج إليها لأننا نعلم أنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة إلى اسْمه؛ فالرب هناك يكون حاضرًا في الوسط. إن الله الحي الكلي الحضور لا يحتاج إلى أمور ميتة تذكِّرنا بحضوره، لأنه يعلن لنا حضوره من خلال الروح القدس. وإذا كنا نقف احترامًا عندما نكلِّم أحد رفقائنا البشريين، فكم بالأحرى ينبغي أن نقف احترامًا لله الذي نتكلم معه، لذا لنقف جميعنا للصلاة.

للتو وقف جميع المستمعين، ما عدا اليهود الذين نظروا بعضهم إلى بعض لا يعلمون ماذا يفعلون، وأخيرًا وقف البعضُ بتردُّد، بينما ظل الآخرون جالسين. ولأن جوديت كانت تجلس في المكان الأخير، فقد كانت تراقب الجالسين أمامها. هي نفسها وقفت في الحال عندما سمعتْ الدعوة التي قدّمها المبشّر، واتبّع سولومون مثالها فقام أيضًا. وانسكبت من شفتي الرجل صلاة حارة بسيطة كصلاة الأطفال، وكطفلٍ يأتي إلى أبيه بكل احتياجاته هكذا اقترب هذا الرجل إلى الله وكلّمه بكلمات بسيطة. لم تسمع جوديت طوال حياتها صلاة كهذه الصلاة، فهي كثيرًا ما سمعت

والديها يقرأون الصلوات اليهودية، وهي أيضًا قرأتها في بعض الأحيان، ولكنها صلوات كُتبت ربما منذ آلاف السنين وقد حُفظت عن ظهر قلب وكُرِّرت كثيرًا جدًا بدون فهم لمعناها، وهذا كان شكلٌ ميّت دون يقظة الروح. ولكن هنا هذه الصلاة لم تكن كلمات ميتة محفوظة، بل كانت انسكاب للقلب أمام الله، لتعرض احتياج الساعة المُلح. كانت الصلاة كلام رجل مملوءٍ بالثقة واليقين في شخص الله غير المرئي والكليّ الوجود.

عندما أنهى المبشر صلاته، شاركه جميع المستمعين المسيحيين بكلمة" آمين" صاعدة من أعماق قلوبهم. وكرَّرت جوديت متأثرة بعمق "آمين".

نظر إليها سولومون في دهشة.. وسألها بعنف "ما هو الأمر معك يا جوديت؟ أنت تتصرفين كما لو كنت واحدة منهم. أنت تقفين إذا وقفوا وأيضًا تكررين كلماتهم. انظري إلى شعبنا، لقد ظلوا جالسين في صمت ما عدا أقلية قليلة. هل ما تفعلين صحيح في نظرك؟"

أجابته جوديت بهدوء "أنني يا سولومون لا أعتقد أنني

فعلت شيئًا غير صحيح.. ألا يجب علينا أن نتفق مع الحق ونأخذ موقفًا بجانبه، حتى ولو كُنّا نسمعه لأول مرة في حياتنا؟ إنني لا أشعر إلا بالحق الصريح في كل ما قيل وما صُنع هنا".

هنا توقّف حديثهما عندما دعا المبشر المستمعين للانتباه إلى الجزء الذي ينوي قراءته من كلمة الله. فتح المبشر كتابه المقدس وبدأ يقرأ الأصحاح الثالث والخمسين من نبوة إشعياء، والذي يجسِّم حياة الرب يسوع بطريقة موجزة ولكن شديدة الوضوح، من ولادته حتي نهاية حياته على صليب الجلجثة. بعد قراءة كلمة الله استحضر أمام سامعيه تاريخ اسرائيل ورجاءهم الرائع في المسيا الآتي، وقال إنه بحسب النبوات فالمسيا يجب أن يموت أولاً عن الشعب كحمل الله. وبواسطة هذا الموت البَدَلي يستطيع المسيا أن يحرِّر البشر من قيود الخطية ومن الموت الأبدي، تمامًا كما كان يجب أن يموت الحمل عن بني اسرائيل في تلك الليلة التي لا تُنسى، فلا يموتوا مع المصريين ويخلصهم من قيود فرعون. ولكن ما حدث في تلك الأيام الغابرة لم يكن إلا رمزًا أو مثالاً لما

تمَّمه الله في الأيام الأخيرة بواسطة ابنه الرب يسوع المسيح، الذي يتكلم عنه إشعياء النبي "مُحتقرٌ ومخذولٌ من الناس، رجل أوجاع ومُختبر الحزَن. كان كشاةٍ تُساقُ إلى الذبح" لأنه حمل في جسده عقوبة خطايانا.

ثم استكمل حديثه قائلاً "أصدقائي الأعزاء: دعونا الآن، ولدقائق قليلة ندرس حياة يسوع المسيح الناصري.

ألم يكن مُحتقرًا ومخذولاً من الناس؟ لقد أبغضه الكتبة والفريسيين كل أيام حياته، وأخيرًا قرروا أن يتخلَّصوا منه معلِّقين إياه على صليب العار. والجنود الرومان الأمميين ضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه القدوس وبصقوا عليه وضربوه على رأسه بقصبة مُستهزئين به وقائلين *"التحيات يا ملك اليهود"*.. ألم يكن هذا إذلالاً؟ ألم يكن كشاة تُساق إلى الذبح وهو يحمل صليبه إلى المكان الذي صلبوه فيه مُتعثرًا وساقطًا تحت الحمل الثقيل؟ نعم بالحقيقة كان كحملٍ؛ لأنه لم يفتح فاه ولم يقاوم ولم يشتكِ مُعذبيه. هذا ما حدث في الماضي، ولكن النبوة المختصة بالرب يسوع ما زالت تُتممُ حتى يومنا هذا.

أنا أرى الليلة بين مستمعيّ بعض أصدقائي اليهـود.. آه كم أتمنى أنكم الليلة تنظرون إلى حاضركم ومـستقبلكم، ألا يضع قادتكم الروحيين دائمًا أمامكم الرب يـسوع المـسيح المسيا الوحيد الحقيقي لإسرائيل كأنـه المـسيا المُزيّـف أو المخادع؛ أليس هذا احتقارًا وخذلانًا له على مر العـصور؟ أليس حقًا أن كل اليهود المتدينين ما زالوا ينتظرون مجـيء مسياهم إلى اليوم. ولكن مَن ذلك الذي سيأتي سريعا؟ من هو المسيا الآتي؟

لو أردنا أن نعبّر عن آرائنا قد نُخطئ بسهولة، ولكـن الله الذي وعد أن يرسل المسيا قد سبق وأنبأنـا، وهـو وحـده الذي يستطيع أن يجيبنا على هذا السؤال. اسـتمعوا إلـى قول أحد أنبياء الله الملهمين..في سـفر زكريـا الأصـحاح الثاني عشر والجزء الأخير من العدد العاشـر نقـرأ هـذه الكلمات عن المسيا *"سينظرون إليّ الذي طعنوه وينوحـون عليه كما على وحيدٍ له"* مَن الذي طعنه اليهـود فـي كـل تاريخهم؟ ومن سيأتي لهم مرة أخرى؟ الذي طعنـوه هـو **يسوع ابن داود.** هذا كان ينبغي أن يتم بحسب خطـة الله

للفداء. كان لا بد أن دم الحمل البريء الذي بلا لوم يُسفك من أجل خلاص إسرائيل ومن أجل كل العالم لفداء الناس من الخطية والموت. وهذا الحق ذكره الأنبياء مثل إشعياء ودانيآل وآخرون مُسبقًا. وهذا ما تم فعلاً. ولكن لا بد لباقي النبوات أن تتم أيضًا، ولا بد أن ينظر إسرائيل يوما ما إلى الذي طعنه آباؤهم.

اليوم يتكلم الرب إليكم مرة أخرى يا أبناء إسرائيل، وإلى جميع الحاضرين..."

عند هذه النقطة، قام عدد من اليهود في جلبةٍ وضوضاء وتركوا القاعة... بعد أن عاد الهدوء، استمر المبشر يقول "نعم يا أبناء إسرائيل، لقد أرسل الرب إليكم أنتم أولاً تلاميذه ببشارة الإنجيل بعد قيامته المجيدة، وأنا أيضًا أردتُ أن أكلمكم أنتم أولاً فور وصولي إلى هذه المدينة. لكم أنتم أراد الرب أن يعطي سلامًا وفرحًا وحياةً أبدية. إن لديه بركات عظيمة لكم قد سبق ووعد بها أباكم إبراهيم. لا تستمروا في عنادكم برفض دمه الطاهر الذي سُفك من أجل خطاياكم ومعاصيكم. لا تستمروا في غرس أشواكٍ أخرى في جبينه. توقفوا عن

طعنه بعدم إيمانكم ولا تستمروا في رفضه واحتقاره.إرجعوا إليه بالصلاة والتوبة من كل قلوبكم. متى تأتي اللحظة المباركة عندما تروْن أنتم الحاضرون هنا ذاك الذي طعنته أيدي آبائكم؟ متى ستسقطوا بدموع التوبه عند قدميْ ذاك الذي جُرح من أجل معاصيكم. إنه ينتظر وعيناه تفيضان حبًا لكل شخصٍ هنا في هذه اللحظة المهيبة. إنه سيعود بك أيها الخروف الضال إلى الحظيرة. إنه يدعوك الليلة فاسمع ما يقوله لك: *"تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"* يا من أنت مُثقّل بالخطية ومحروم من الراحة والسلام تعال.. تعال الليلة وسيعطيك راحة وحياة أبدية".

وبكلمات أخيرة، قدَّم دعوة قلبية حارة لجميع الحاضرين. ثم بحسب طلب المبشر أحنى الجميع رُكَبهم، ما عدا العدد القليل من اليهود الذين ظلوا بعدما غادر الباقون منهم. صرخت نفوس كثيرة إلى الله طالبةً غفران خطاياها والسلام مع الله.

كانت جوديت تستمع بإصغاءٍ شديد طوال الخدمة وعيناها مملوءتان بالدموع، بينما حضرَتْها ذكريات الماضي وهي تستمع؛ فرأت في مخيّلتها صورة بيت جدها الريفي،

وتذكرت بوضوح شديد المناقشة التي دارت بين جدّها وبين صديقيه الرَابّيِيْن عن "يسوع"، والتي سمعتها عندما كانت ما تزال فتاة في الثالثة عشرة. لقد شعرت في ذلك الوقت أن أحد الرَابّيِيْن كان على جانب الحق أكثر من جدها المحبوب، والآن في هذا اليوم لديها امتياز سماع أخبار الإنجيل الحي عن المسيا والتي أعلِنت ببساطة ووضوح.

كان هناك صوتًا داخليًا يهمس في قلبها طوال الوقت "هذا هو الحق الأكيد الذي يجب أن تقبليه. إنه هو المسيا حمل الله الذي مات من أجل اليهود، ومن أجل كل العالم، ومن أجلك أنت. يجب أن نقبله ذاك الذي قمنا بطعنه."

ثم سمعتْ الصوت يؤكد "وأنت أيضًا تقبليه يا جوديت". فقالت وهي تحرك شفتيها وكأنها تجيب من لا تراه "وأنا أيضًا؟"

كان سولومون يراقب بصمت التعبيرات المتغيرة على وجه الفتاة، ولثلاث مرات كان ينوي أن يترك الاجتماع ويذهب إلى البيت؛ إذ لم يعجبه الحق الذي ذُكر عن يسوع المسيح، والذي شُرح هنا ببساطة ووضوح. غير أن جوديت لم تُردْ أن

تغادر، فكانت تطلب منه في كل مرة أن ينتظر قليلاً. ومع أن سولومون كان يصرّح أنه يهودي عصري غير مؤمن، إلاّ أنه بات من الواضح أن إلحاده كان سطحيًا فقط، فقد كان في أعماق قلبه يهوديًا أصيلاً. وإذ سمع القصة الحقيقية عن"يسوع المسيح" وموقف اليهود منه، فقد ازدادت مشاعره الحقيقية قوة وصلابة. لقد ضايقه وآلمه بشدة أن جوديت التي أحبها بكل قلبه اهتمت جدًا بما كان يقوله الرجل، وكان من الواضح أنها اعتبرته الحق الصريح. ووجد نفسه مضطرًا أن يحكم عن طريق تعبيرات وجهها ودموع عينيها أنها تعتقد تمامًا أن كل ما قاله الرجل كان صحيحًا.

وفي نهاية الاجتماع، عندما ركع المسيحيون للصلاة، شعر سولومون أن هذه هي اللحظة المناسبة ليغادرا؛ لأنه من العار عليه كشخص يهودي أن يحضر صلاة هؤلاء الناس. واغتاظ جدًا بسبب جدّية جوديت واهتمامها، فحرضّها بطريقة خشنة على مغادرة المكان في الحال والذهاب إلى البيت. أجابته هامسة "لا يا سولومون، أنا لا أريد أن أغادر الآن؛ فالاجتماع قارب على نهايته وأنا أريد أن أبقى حتى ينتهي".

كان قلبها يدقّ بعنف وهي تستمع إلى الصلوات الحارة التي رفعها كثيرون من أجل خلاص اليهود، وشعرت جوديت، كما لم تشعر من قبل، أنها هي أيضًا خاطئة. هي أيضًا كباقي اليهود، قد رفضتْ وقاومتْ الرب يسوع المسيح بعنادٍ شديد، حتى هذا اليوم. لقد اعتبرته مسيا مزيفًا محتالاً واحتقرته وازدرت به. كانت هذه الأفكار تومض كالبرق في مخيلتها وقلبها يعتصر بألمٍ شديد.. "وماذا أفعل الآن والكل يحنون ركبهم باحترامٍ أمامه؟ إنني ما زلتُ أخطئ معاندةً بجلوسي هكذا ولم أقف حتى على قدميّ؟"

ثم تأوهت جوديت "آه يا إلهي ماذا سيقول سولومون ووالديّ وأمّتي؟"

وجاءها الصوت الهادئ الخفيف "نعم.. ولكن ماذا سيقوله أيضًا حمل الله المُحِب؟"

وفي لحظةٍ، نسيتْ وجود سولومون ونسيتْ والديها، وخَرَّت فجأةً على ركبتيها منتحبة بصوتٍ مسموع "سامحني يا يسوع". ثم انسكبت من شفتيها ومن قلبها صلاة التوبة الملتهبة المؤثِّرة التي احتجزتها في قلبها فترة ليست بقليلة.

صلت أولاً لنفسها ثم لأحبائها ولأمّتها.

نظر كثيرون من اليهود الباقون في المكان باندهاش إلى جوديت، أما سولومون فقد جلس بجوارها خائفًا ومذهولاً غير مُستوعبٍ للموقف. واستكملت هي صلاتها "أيها الرب يسوع إلهي ومسيانا، من الآن فصاعدًا أريد أن أخدمك بكل قلبي وروحي وأكون خادمتك، وأظل لك ولك وحدك إلى الأبد. أعنّي أيها الرب لأتبعك بأمانة.آمين".

وارتفعت أصواتٌ كثيرة معها "آمين..آمين" بعدها صلى المبشر شاكرًا الرب من أجل هذه الشاة من قطيع بيت إسرائيل التي جاءت الليلة إلى راعيها الصالح.

عند هذا كان سولومون قد عاد إلى نفسه، فقبض على ذراع جوديت، وأوقفها على قدميها، ودفعها بغلظة خارج القاعة. لقد استيقظ الآن داخله وبقوة اليهودي المتعصب. لقد تملكته رغبة في إزهاق روحها بيديه أو رجْمها في الحال، تلك التي أحبها بشدة؛ لأنها صلّت إلى يسوع المسيح داعيةً إياه سيدها.

وأذعنت له جوديت بوداعة، فسارت بجانبه بسكوت كما لو

كانت في حلم، غير مكترثة بسلوكه الفَظّ، ولكنهما لم يتكلما كلمة واحدة طوال سيرهما إلى البيت. إلاّ أن سولومون كان يتأوه بعمق من حينٍ لآخر، فقد كان دمه يغلي من الغضب وثورته كادت أن تخنقه. كان غاضبًا على المبشِّر وعلى المسيحيين وعلى جوديت. غير أن الفتاة التي كانت تسير بجواره شعرت شعورًا عكسيًا تمامًا. كان قلبها يمتلئ سلامًا عميقًا وراحة، وشعرت بالأسف من أجل سولومون؛ لأنها أدركت أن شيئًا فظيعًا يعتمل في قلبه. ولكي لا تزيد من غضبه، وجدت أنه من الحكمة أن تلزم الصمت حاليًا.

وإذ اقتربت من بيتها، بدأت تفكّر كيف سيكون موقف والديها والمجتمع اليهودي منها بعد اختبارها الليلة؛ لأن عددًا من اليهود قد شهدوا تغييرها، ومن المحتمل جدًا أن هذه الأخبار قد تنتشر الليلة في المجتمع اليهودي في مدينة "ج". وإذ لم تستطع أن تساير سولومون الذي كان يسير بسرعةٍ كبيرة، كانت تسير وحدها خلفه، فبدأت تطلب المعونة من الله الكليّ العلم والكليّ الحضور أن يعينها في الساعات القادمة وأن يمنحها حكمةً وصبرًا كثيريْن لمواجهة والديها.

وعندما وصلت أخيرًا إلى بيتها شعرت براحة وسلام في قلبها فإن صرختها الصامتة قد أجيبت من الله الذي انتظرت منه معونتها، وجاءها صوتٌ داخلي يطمئنها "لا تخافي يا جوديت، تشدّدي وأنا سأكون معك". كان التأكيد بأن الرب لن يتركها ولن يهملها يملأ قلب الفتاة بفرح أضاء وجهها.

عندما دخل سولومون وجوديت البيت، كان الوالدان والأختان جالستان في الردهة. وبدون أن ينتظر إذنًا، ألقى سولومون نفسه على أقرب كرسي، بينما مشت جوديت بهدوء عبر الردهة إلى غرفتها. شعرت السيدة وينبرج بغريزة قلب الأم أن شيئًا غير عادي قد حدث؛ فذهبت إلى سولومون ووضعت يدها برقة على رأسه المنحني وسألته بلطف " تُرى ماذا بك يا سولومون؟ ماذا حدث بينك وبين جوديت؟"

رفع سولومون رأسه كأنه يستيقظ من حلم، ونظر إلى السيدة وينبرج، صائحًا بصوت مختنق من الغضب، حيث أنه لم يستطع التحكم في نفسه بعد "إسألوا جوديت.. دعوها تخبركم.. حسنا.. لا لا.لا فائدة.. إنها مُرتدّة. لقد جلبت العار علينا كلنا: أنتم وأنا وكل الأمة اليهودية. أنا أتوقع أن

تكون المدينة كلها قد عرفت الخبر حاليًا".

جلست السيدة وينبرج على المقعد بجوار سولومون شاحبة الوجه وإذ لم تكن تعرف بعد ما حدث نظرت إليه مُتحيرة. لم يكن دافيد وينبرج منتبهًا في البداية إلى سولومون، ولكنه فجأة ألقى جريدته جانبًا. لقد ظن في البداية أنه سوء فهم بسيط بين الاثنين، كما يحدث عادة بين المحبين، ولكن إذ سمع كلمات سولومون، استدار بسرعة ونظر إليه بجدّية وسأله بخشونة "ماذا حدث؟ ماذا فعلتْ جوديت؟ هل جلبت العار علينا كلنا؟"

وألحّت الأم بعصبية "نعم يا سولومون، أخبرنا ماذا حدث لابنتنا. من فضلك يا سارة استدعي جوديت بسرعة". ثم نظرتْ إلى ابنتها الصغرى قائلة "لماذا لا تأتِ إلينا؟ دعيها تأتي وتخبرنا ما المشكلة معها".

عندما دخلت جوديت الردهة، تحوَّلت كل الأعين إليها منتظرة. كانت هادئة جدًا. التغيير الوحيد المُلاحظ أن وجهها الذي كان دائمًا مرحًا بشوشًا أصبح الآن جادًا متوترًا. كانت قد أنهت للتو حديثها مع الرب عندما دخلت أختها لتستدعيها، فعند وصولها البيت ذهبت باستقامة إلى حجرتها وجلست عند

قدميّ مخلصها تتوسل إليه أن يفتح قلوب والديها وسولمون وإخوتها ليقبلوه – المسيا – كمخلصهم الشخصي. وعندما طرقت سارة باب غرفتها صلت "والآن أعني يارب."

عندما دخلت الردهة سألت أمها "هل ناديتني يا أمي؟"

قال أبوها مشيرًا إلى مقعد قريب "اجلسي هنا".. جلست جوديت في صمْت، وقد علمت أن اللحظة الخطيرة قد أتت حيث عليها أن توضح موقفها. كانت تعرف أن عليها الآن أن تعترف علناً بإيمانها بالرب يسوع المسيح كابن الله أمام والديها وأمام إخوتها وأمام سولومون. لم يكن هذا بالأمر الهيّن بالنسبة لفتاة قد خلصت للتو ولم تكن لها فرصة لتدّبُر الأمر والتفكير بهدوء

بدأ أبوها الحديث قائلاً "اسمعي يا جوديت.. نحن نريد أن نسمع منك شخصيًا عما فعلتيه، وعن الذي جرى بينك وبين سولومون. نحن نريد أن نعرف ما هو العار والازدراء الذي جلبتيه علينا وعلى أمتنا".

كانت جوديت تستمع صامتة ورأسها منحني، بينما كل الأعين مثبّتة عليهافي انتظار الإجابة.

أخيرًا، وبعد فترة صمت قصيرة، رفعت رأسها ونظرت مباشرة في عينيّ والدها، وقالت بصوت هادئ ثابت "نعم يا والدي ويا والدتي لقد حدث شيء، ولكن ليس بين سولومون وبيني، ولكن معي وحدي. غير أن ما حدث لا يخزيكم ولا يخزي سولومون ولا يجلب العار على أي مخلوق. إنني أتمني أنكم كلكم تختبرون ما اختبرته، أنتم وكل شعبنا وكل الناس على وجه الأرض."

قالت الأم "تكلمي بسرعة وبأكثر وضوح. لا تعذبينا أكثر من هذا."

أجابت جوديت "أمي العزيزة.. إنني لا أريدكم أن تتعذبوا على الإطلاق، بل بالعكس أريدكم أن تفرحوا معي. الذي يملأ قلبي في هذه اللحظة والذي حدث معي في هذه الليلة لا يمكن أن يُحكي في كلمات قليلة. لذلك سامحيني يا أمي إن كنت لا أستطيع أن أعبّر عن نفسي بسرعة."

صاح سولومون وقد خرج عن طوره "إنها... مُرتدّة.. لقد جلبت العار والخزي علينا كلنا."

كان غاضبًا حتى أنه لم يستطع أن يبقى صامتًا أكثر من

هذا، مخافة أن تحاول جوديت الدفاع عن نفسها أو التأثير على والديها.

صاح الوالدان والأختان بصوتٍ واحد ناظرين إلى جوديت باستفهام "مُرتدّة؟!!"

أجاب "نعم مُرتدّة.. لماذا تستمعون إليها؟ إنها مسيحيّة."

صاح الوالدان والأختان في دهشة شديدة "مسيحيّة؟ جوديت مسيحية؟"

صرخ السيد وينبرج "انتظر يا سولومون". ثم مشى إليها مهددًا وناظرًا إليها بقسوة "هل ما يقوله سولومون صحيح؟"

كتم الجميع أنفاسهم بينما كان الأب واقفًا أمام ابنته يرتعش من الغضب والانفعال. كان منظره هكذا مخيفًا حتى أن السيدة وينبرج نفسها كانت خائفة منه؛ فهي لم تَرَه طوال حياتهما الزوجية بهذا المنظر المرعب؛ فتدخلت قائلة "دافيد..أرجوك.. دع جوديت.. دعها تحكي لنا ما حدث بالضبط. اجلس بالقرب مني من فضلك". جلس بالقرب منها وهو يتنفس بصعوبة بالغة، بينما شجّعت هي ابنتها التي جلست صامتة وخائفة قائلة "هيا أخبرينا عما تريدينا أن

نعرفه.. أنت أيضًا يا سولومون الزم الصمت، دعها تخبرنا عن الذي حدث لها هذه الليلة."

أجابت جوديت بصوتٍ مُؤكِد وثابت "نعم لقد قال لكم سولومون الحقيقة. أنا أؤمن أن الرب يسوع المسيح هو مسيا اليهود وربي ومخلصي الشخصي".

عند هذه الكلمات الأخيرة، قفز السيد وينبرج كما لو كان قد لُدِغ بعقرب، ولكن زوجته حجّمته. واستمرت جوديت "لقد سمعت عنه أحيانًا في طفولتي، ولعدة مرات كان هناك صراعٌ شديد في قلبي. لم أعرف هل هو المسيا حقًا أم لا. ولم أستطع أن أجيب على هذا السؤال بنفسي. وأذكر أنني سألت جدي ذات مرة عنه، كما أنني ما زلت أذكر بوضوح شديد المناقشة التي أنصتُّ إليها يومًا.. كان جدي وقتها يناقش اثنيْن من الرَابّيين عن "يسوع"، وواحد من الرَابّييْن أثبت أن "يسوع" هو المسيا. والليلة ذهبنا، أنا وسولومون، إلى اجتماع بإحدى الكنائس، وقد جاءهم أحد الوعاظ من مدينة أخرى. وبينما كنت أستمع إلى الوحي المقدس وإلى الخدمة، اقتنعت تمامًا أن يسوع هو المسيا ابن المبارك الذي

صلبه آباؤنا، الذي مات كحمل الله من أجل خطية العالم، كما هو في النبوات. وإذ اقتنعتُ تمامًا، أعطيته قلبي، وصرت أنا، ابنتكم، خادمة له وأتبعه من الليلة وإلى الأبد."

بينما كانت تتكلم كانت تلاحظ التعبيرات المتغيرة على وجه أبيها وأمها. لقد رأت الصراع المرعب الذي كان يعتمل في قلبيهما، ورأت أنهما بالكاد يستطيعان التحكم في نفسيهما.

عند سماع هذه الكلمات الأخيرة من فم الفتاة، أمسكت الأم رأسها بكلتيْ يديها وبدأت تبكي وتولول بصوتٍ مرتفع. أما الأب فقد أخذ يمشي جيئة وذهابًا وهو يعتصر يديه، بينما سولومون والأختان يبكون في صمت.

صاح بها السيد وينبرج بصوت مختنق وهو يرتعش غضبًا مشيرًا إلى الباب "أغربي عن وجهي واخرجي حالاً". فقامت جوديت في الحال وخرجت بهدوء.

٤

اضطهاد من أجل المسيح

عداوة الوالدين - تعهد الأم بقتل ابنتها
الطرد من البيت - الثقة في الرب

ظلت الأم تبكي بكاء هيستيريًا لمدة ساعة كاملة بينما أرسل الأب الفتاتيْن الصُغرتيْن إلى أسرّتهما، وظل سولومون جالسًا ورأسه منكسٌ.

أخيرًا قال السيد وينبرج لزوجته بعد أن أن استطاع التحكم في نفسه "لن يُصلح الحزنُ والبكاء شيئًا. لا بد أن نفعل شيئًا. نحن الثلاثة أكثر من يحب جوديت على الاطلاق،

ونحن ندرك كم هي مُرعبة هذه الخطوة التي اتخذتها جوديت هذه الليلة، مُرعبة لها وصعبة بطريقة لا يمكن وصفها بالنسبة لنا. ولكن ما زلنا نستطيع إنقاذها إذا تعاونّا سويًا. أعتقد أنه سيكون من المفيد أن تخبرنا يا سولومون بهدوء كل شيء من البداية؛ ففي الفترة الأخيرة كنت أنت أقرب إلى جوديت منا، حيث كنا قد أودعناها بالتمام لك."

أضافت زوجته "نعم هذا صحيح.. أخبرنا يا سولومون."

كان سولومون قد عاد إلى نفسه بعض الشيء، فابتدأ يخبرهم عما يعرفه عن جوديت مؤخرًا. أخبرهم أنها كانت منشغلة جدًا بالمسائل الدينية، وأنها أسرّتْ إليه بما يدور في ذهنها ويشغلها، وأنه لم يجد في ذلك شيئًا خطيرًا أو مُضرًّا، بل بالعكس لقد شاركها في العديد من أفكارها وآرائها. وفي هذه الليلة قرّر أن يشبع رغبتها، وكذلك فضوله، في التعرف على بعض الأديان الأخرى حولهم. وقال إن الإعلانات التي قرأها عن ذلك المخادع القادم من أجل الإجتماعات ودعوته لليهود قد أثارت فضوله؛ ولذلك فقد تم الاتفاق على حضور ذلك الإجتماع.

وبعد فترة صمت قصيرة استكمل كلامه "وهناك، في ذلك الاجتماع، حدث شيء غير متوقع على الإطلاق. لا يمكن أبدًا أنني كنت أستطيع حتى تخيّل ما حدث.. هذا المبشر أثبت لمستمعيه أن "يسوع" هو بالحقيقة مسيا اليهود مخلِّص العالم. ولكي يدعّم أقواله، كان يقتبس طوال الوقت من أقوال النبوات اليهودية التي تتكلم عن مجيء المسيا. كنت أراقب جوديت، وسرعان ما لاحظت أنها تصغي بانتباهٍ شديد وكأنها تلتهم الكلام التهامًا. حاولتُ عدة مرات أن نقوم ونترك المكان، ولكنني في كل مرة كنت أستسلم لرغبتها في البقاء مدة أطول. شعرت بالاشمئزاز وآلمني حتى النظر إليها. أنا نفسي لم أكن أؤمن بالله، ولكنني كيهودي كرهت أن تهتم جوديت بكلام هذا الرجل، الذي على ما يبدو لم يكن له غرض سوى أن يتهم اليهود بقتل "يسوع".. وبعد أن أنهى المتحدث كلامه، طلب من كل الحاضرين أن يحنوا ركبهم للصلاة. وفعل الجميع هكذا فيما عدا عدد قيل من اليهود الذين ظلوا في أماكنهم رغبة في الفضول – على ما يبدو – لأن غالبية اليهود تركوا المكان بعد انتهاء الخدمة. وأنا أيضًا وقفت لنذهب، ولكن جوديت نجحت في إقناعي مرة أخرى بالبقاء.

كنا نجلس في المقعد الأخير، وفجأة – بعد أن صلى أحدهم – خرَّت جوديت على ركبتيْها، وبدأت تصلي كما يفعل أولئك الناس، وكل اليهود الجالسون أمامنا استداروا ونظروا إلينا. كنت مذهولاً، ولا أعرف ماذا أفعل، وامتلأ قلبي بالحزن، وخجلت حتى أن أرفع رأسي وأنظر إلى أولئك اليهود الأصدقاء. لقد شعرتُ بالعار والذل للغاية. بعد أن رجعتُ إلى نفسي إلى حدٍ ما أقمتها على قدميها وسحبتها ورائي وأنا أعدو هاربًا من ذلك المكان الفظيع..

هذا هو كل ما أعرفه وما أستطيع أن أقوله لكم.. إنني في ضياع ولا أعرف ماذا أفعل. إن محبتي العظيمة لجوديت تصارع ذلك الشعور الذي دعته أحداث هذه الليلة. إنني لا أستطيع أن أعطي تصويرًا واضحًا لما يعتمل في صدري الآن. حتى هذا اليوم أنا لم أكن مؤمنًا بالله، وأبعد ما يكون عن أن أكون الرجل المتدين؛ ولذلك فمن الغريب أن أشعر أن جوديت قد آذت أعمق وأقدس المشاعر فيّ. هذا يدل على أن الله فعلاً موجود، وأن اليهود هم الأمة الوحيدة التي عندها الديانة الحقة التي أعطيت لها من الله.

والآن جوديت مرتدّة بوعي وبقصد عن الله، وعن دين آبائها. لقد ألقت بكل شيء أرضًا وداسته بأقدامها.. ماذا أفعل فهي مخطوبةٌ لي، وزواجنا سيكون في المستقبل القريب، ومن المستحيل أن أظهر الآن معها في مجتمعنا لأن عددًا من اليهود شاهدوها وهي تصلي تلك الصلاة الهيستيرية طالبةً من يسوع أن يهدي أمتنا اليهودية كلها، ولقد ورأوني كذلك معها هناك."

وبدأ سولومون ينوح بصوت مرتفع ممسكًا رأسه بكلتيْ يديه "لقد ضاعت مني.. ضاعت إلى الأبد.. لا يمكن أن نحب بعضنا بعضًا فيما بعد.. والأكثر من هذا أننا لا نستطيع أن نكون حتى أصدقاء. آه.. كيف حدث هذا؟! جوديت.. حبيبتي جوديت."

كان والدا جوديت يستمعان صامتين وقد انسحقا تحت ثقل حزنهما. كان وجه الأب يعبِّر عن صراعٍ داخلي عنيف، وكانت الأم تبكي. كانا يقدِّران شعور الشاب ويتعاطفان معه، لأنهما كانا يتألمان كثيرًا لموقف ابنتهما. بمجرد أن أنهي الشاب حديثه، وقف السيد وينبرج وأخذ الشاب بذراعه

إلى زوجته ثم وجّه إليه الكلام قائلاً "أنت تعلم يا سولومون أننا ارتبطنا بك كما لو كنت ابننا، وأننا أحببناك من كل قلوبنا، وأنك أنت أيضًا أحببتنا بالمثل تمامًا. والآن نحن فقدنا من ربطتنا جدًا ببعضنا، والتي أحببناها بكل عواطفنا، والتي كنا نتوقع دائمًا أنها ستكون سبب فرحٍ كثيرٍ وشرفٍ كبيرٍ لنا.. والآن هي قد سببت لنا حزنًا لا يوصف وعارًا لا نعرف كيف نتحمله أو نتخلص منه

عندما كانت تجلس هنا تخبرنا بأنها صارت مسيحية، شعرت بشيء في قلبي لا أستطيع وصفه، ولولاك أنت يا راشيل لا أعرف ماذا كنت سأفعل بابنتي، وإن كنت حتى الآن لا أعرف أيضًا ماذا أفعل، ولكنني لن أيأس. لقد كانت جوديت تدهشنا منذ بداية طفولتها بذكائها الحاد وأسئلتها العميقة التي تفوق عمرها، إلى جانب أنها كانت دائمًا شخصية مؤثرة. وربما نحظى بسعادة أن نردّها إلى ديانة آبائها. والآن علينا نحن الثلاثة أن نستخدم كل الطرق الممكنة والوسائل المُتاحة لنؤثّر عليها، وأعتقد أنه في الأيام القليلة المُقبلة يجب علينا أن نتركها وشأنها

ونعطيها فرصة للتفكير فيما قد فعلته. أنا أشك أن العنف سيُجدي معها نفعًا، بل إنني أشعر بالأسف الشديد من أجل تصرفي معها هذه الليلة. ومن هذه الجهة على أمتنا أن تغيّر كثيرا من مواقفها. ولكن من يستطيع التغلب على ما يعتمل في نفسه؟ إنها مشاعرنا. ليتنا نحاول أن نصل إلى هدفنا عن طريق الحب والتحريض وإثارة العواطف، ويمكننا – إذا لزم الأمر – أن ندعو الرَابّي الموقّر إلى منزلنا للحديث معها، ثم نقرِّر بعدئذ ما نفعله بعد ذلك."

قالت الأم موافقة "نعم يا دافيد، أنت على حق، يجب أن ننقذ ابنتنا حبيبتنا جوديت. وأنت يا سولومون ستساعدنا أليس كذلك؟ أنت لك تأثير عليها فأنا أعلم كم تحبك عزيزتنا جوديت."

أجاب وقد استعاد شجاعته وعاد إليه الأمل "بالطبع سأفعل. أرجو أن تسامحوا انفعالي وحكمي السريع؛ فربما لم تضِع مني جوديت على أية حال. وأي شيء يعتمد عليّ سأفعله بسرورٍ من أجلها."

كانت الساعة الثالثة صباحًا تقريبًا عندما وصل سولومون إلى بيته والساعات الباقية من الليل قضاها هو – كما قضتها عائلة وينبرج – بدون نوم. كان اهتداء جوديت وقبولها للمسيحية ضربة غير مُتوقعة لهم.

في نفس الوقت كانت هناك مُحادثة في غرفة في الجانب الآخر من البيت تختلف كل الاختلاف عن تلك التي دارت في الردهة. مُحادثة لا يعرفها أبدًا بيت أو عائلة وينبرج. حديث ليس بين الناس، بل بين فتاة صغيرة وإلهها. عندما طردها أبوها وأمرها بالذهاب إلى غرفتها، شعرت جوديت بالألم يسحقها. لقد تعودت منذ نعومة أظفارها أن يحبها الجميع، ولم تتعود أبدًا على المعاملة الخشنة. والآن، ولأول مرة في حياتها، تشعر أنها قد فقدت هذا الحب. لقد شعرت أنها مُبغَضة من أولئك الذين هم الأقرب والأحب إلى قلبها. لقد أحبت جوديت والديْها وسولومون بمحبة غير عادية من النادر أن يجدها أحد، محبة نقية أصيلة غير أنانية أو نفعية. ولعدة سنوات عرفت وأحبت سولومون و كان عزيزًا جدًا على قلبها، كان دائمًا لطيفًا حنونًا مُقدرًا. كما أن الأب الذي كان

دائمًا عطوفًا رقيقًا بدا مخيفًا مُرعبًا عندما وقف أمامها يرتعش غضبًا، ولو لم تحجّمه الأم لكان قد قتلها في التو واللحظة.

عندما تذكرت هذا، شعرت الفتاة بألم غريب لا يوصف يطعن قلبها. وفجأة شعرت أنها مسكينة ووحيدة في هذا العالم. لا يوجد الآن في هذا العالم من تستطيع أن تلتجئ إليه وتشكو له أحزانها الفائقة. لا يوجد شخص واحد تستطيع أن تجري إليه وعلى صدره تبكي وتشكو أحزان قلبها الصغير. لقد نبذها أبوها وأمها وإخوتها الأعزاء وأمّتها كلها من أجل خاطر الرب. لقد أدركت أن كل ربُط المحبة قد تقطّعت الآن. شعرت بنفسها كمن أُلقي من على سطح سفينة إلى أمواج البحر العاتية بلا أرضٍ صلبة تقف عليها أقدامها ولا شاطئَ على مرأى منها. ولمدة طالت جدًا ظلت شهقاتها المكتومة تملأ الغرفة. هذا كان أول حزن حقيقي في حياة جوديت.

بعد أن انتهت نوبة البكاء الحادة التي انتابتها عند صدمة طرْدها من محضر أحبائها، قامت من السرير الذي ارتمت عليه في إعياء شديد، وجلست على مقعد بجوار النافذة.

كانت ليلة هادئة، والقمر يضيء في سكون الليل، والنجوم اللامعة تضيء وتبرُق كاللآلئ. تثبتت عينا الفتاة المُتعبتين والمتورمتين من البكاء على سماء الشتاء الجميلة المزدانة بالنجوم. ظلت الفتاة هكذا ساكنة مستغرقة في التأمل لبعض الوقت، ثم نطقت بصوت منخفض "يا إلهى كم أنت عظيم ومجيد في خليقتك". لقد أصبحتْ الآن أكثر هدوءًا، ومـلأ قلبها سلامٌ حلو.

وإذ جلست هناك في عزلة الليل، مرت أمام مخيلتها حياتُها كلُها. تذكرت أيام طفولتها، عندما كانت تعيش مع والديها في الغرب في الجزء من المدينة الذي أُخذ من الروس إبان الحرب. وتذكرت السؤال الذي أقلقها لفترة ما عندما حكى والدها لها ولأختيها قصة تاريخ أمتها. لقد أثارت قصص والدها عقلها الصغير، وأيقظت فيها الرغبة في معرفة الله. وتذكرت أيضًا تلك المناقشة التي لا تُنسى بين جدها وضيوفه والتي استمعت إليها بالمصادفة. والحديث الذي دار بعد ذلك مع جدها، تَمثّل الآن واضحًا جدًا أمام ذهنها. ومرت صور الطفولة واحدة بعد الأخرى

بسرعة أمام عينيها: هروبهم من البيت في بداية الحرب، سفرهم إلى مدينة "ج"، تعرّفها على سولومون، والأيام السعيدة التي توالت بالحب والبهجة، ثم ارتباطهما السعيد. كل شيء مر أمامها كصور على شاشة السينما.

"كان هذا حلمًا لذيذًا، ولكنه تحول إلى حقيقة قاسية. ولكن ماذا الآن؟ ماذا تختزن هذه الحقيقة لي مستقبلاً؟ لقد انتهى الحلم. إن صورة حياتي قد تغيرت كليّة. الشكر للرب مخلصي أنه أخرجني من هذا الحلم. لأنه من الأفضل أن أستيقظ هنا على الأرض، ثم أترك الأرض بحياة جديدة، عن أن أفتح عينيّ وأنا أدخل الأبدية لأواجه النتائج المأساوية لحياة النوم الروحي هنا على الأرض."

استطاعت جوديت، بعقلها الواعى الذكي، أن تقيّم ما هو ضدها وما هو معها في هذا القرار. لم تحاول أن توهم نفسها بتوقع حياة سهلة تنتظرها. كانت مؤخَّرًا تداوم على قراءة التوراة، أو كتاب اليهود، وخلال دراستها تأثرت بحقيقة أن كل الأنبياء، كل خدام الله الحقيقيين، قاسوا اضطهادًا شديدًا، وليس قليلون استشهدوا، حتي يسوع المسيح ابن الله قد مات أشنع

موتٍ إذ صُلب. ثم قالت لنفسها "إذا كنت تريدين أن تتبعيه وتكوني خادمته وتلميذته، فذات المصير ستلاقينه يا جوديت. ها هي الخطوة الأولى قد اتُخِذت، وأعتقد أن كل المدينة عرفت الخبر، وغدًا سيهز الناس رؤوسهم نحوي ويشيرون إليّ بأصابعهم... ولكن هل يجب أن أتراجع؟! آه.. أرجوك يا فاديّ خلصني من هذه الأفكار."

قامت جوديت من مكانها وركعت عند قدميّ مخلصها الغالي وربّها، وهناك قضت وقتًا في رفقة وشركة حلوة، حتى أنها نسيت نفسها ونسيت همومها "أنت تعلم يا إلهي أنني منذ طفولتي الباكرة كنت أشتاق إليك وأبحث عنك. وفي محبتك ورحمتك العظيمة أظهرت ذاتك لي هذه الليلة بواسطة كلمتك وعمل الروح القدس. لقد غسّلتَ وطهّرتَ قلبي بدمك الثمين. والآن أنت تعلم أن الكل قد تركوني من أجل اتبّاعي لك. كل خاصتي الذين أحبهم جدًا يبغضونني ويطردونني من محضرهم. ليس لي هنا أصدقاء على هذه الأرض. ليس من ينصحني أو يعينني في معركتي. أنا وحيدة.. وحيدة تمامًا. أنت تعرف أنني فتاة ضعيفة ولم

أعرف طرُقك بعد، فلا تتركني ولا تهملني يا رب، لا تدعني أخطئ عن حقك في جهلي وضعفي. أنت تعرف ماذا سيحدث لي في حياتي مستقبلاً. أنا لا أعرف، لذلك أعنّي يا سيدي الحبيب في كل ظروف حياتي خاصةً عندما أضعف ويهن عزمي وعندما لا أجد قوةً لمواجهة التجارب."

لمدة طويلة صعدت صلاتها الحارة البسيطة من حجرتها الدافئة المريحة التي أنارها ضوء القمر الفضي. في هدوء الليل كانت جوديت تتحدث مع مخلِّصها، كما لو كانت تراه بجوارها، ولم تشك أبدًا أنه موجود في غرفتها وقريب جدًا منها في ذلك الوقت. فملأ قلبها سلام عظيم وعميق بينما كانت تصلي في بساطة وإيمان.

"إنني مستعدة وراغبة أن أتبعك حيثما تريد. لتكن إرادتك في حياتي من الآن وإلى الأبد يا ربي ومخلّصي."

عندما وقفت على قدميها كان وجهها، الذي وقع عليه ضوء القمر، يلمع بسبب الفرح والسلام الداخلي. وإذ استراحت في حضن فاديها، استغرقت في الحال في نوم عميق مريح؛ فذاك الذي التجأت إليه بالصلاة من أجل

الحماية والعون أعطاها سلامًا أنه يحميها ويعينها ويهديها في طريقها إلى بيتها الأبدي.

بدأت أيام بالغة الصعوبة بالنسبة لجوديت: محاكمات وتجارب واضطهادات من كل جانب. وحاول والداها وسولومون محاولات هائلة ليثنوها عن إيمانها بالرب يسوع المسيح: توسلوا إليها.. دعوها لارتياد المسارح وصالات الرقص وكل أماكن التسلية. ولكنها ظلت ثابتة على مبدئها. لقد أدارت ظهرها لكل ما كان يبهجها قبلاً، وذلك لأنها وجدت شيئًا أفضل جدًا. كانت في نظرها خطية ضد الله أنها، وهي ابنته، ترتاد المسرح أو تقضي المساء في صالة رقص؛ فكانت تقول لهم عندما يحثونها على الذهاب "لا مكان لي في مكان يكون فيه الرب يسوع المسيح مُستبعدًا. أنا لا أكون إلا حيث يكون هو."

لم يستطع والداها ولا سولومون إجبارها على فعل أي شيء كانت تراه يغضب الرب، ولذلك فقد فقدوا أملَهم بعودتها إلى مجمع اليهود وهكذا فقدوا بنفس النسبة صبرهم وضبط مشاعرهم؛ إذ عرفوا أن كل مجهوداتهم باءت بالفشل

لعدة مرات رتّبت أم جوديت أوقاتًا للبقاء مع جوديت وحدهما في البيت، وكانت تتوسل إليها أن تترك تلك المعتقدات وترجع مرة أخرى إلى إيمان آبائها. كانت توسلات ودموع أمها المحبوبة الغالية هي أصعب وأقسى التجارب الذي واجهها إيمانها.

قالت لها يومًا "فكري في مستقبلك.. لقد هجرْتِ أمّتك تمامًا، والجميع ينظرون إليك باعتبارك مُرتدّة.. إرحمينا يا جوديت.. ألا تعلمين أن أباك وأمك يعانون كثيرًا بسببك؟ أختاك أيضًا، الذين هم الآن في عمر الاستمتاع بالحياة، يبكون ويندبون تصرفاتك الغريبة تقريبًا يوميًا. إنهم لا يستطيعون الظهور أمام العامة. إن الناس يعاملونهم باستهزاء واحتقار بسببك. وليلة أمس عادتا إلى البيت باكيتيْن، وقالت روث أنها لن تخرج من البيت أبدًا. الجميع يسأل أين جوديت وما إذا كنا كلنا سنصبح مسيحيين. آه يا جوديت هل من الممكن أن كل معاناتنا الشديدة لا تؤثر فيك ولو قليلاً؟ وانظري إلى سولومون.. مالذي فعلتيه به. إنه يقابل استهزاءً وسخرية في كل خطوة. انك لا تذهبين معه

لأماكن التسلية أبدًا، والشاب المسكين عليه أن يمكث في بيته وحيدًا. وإذا استمر هذا الوضع طويلاً فسينقض الارتباط أخيرًا ويتخلص منك؛ فمن يرضى أن تكون زوجته مُرتدّة.. مُهرطقة؟"

أجابت جوديت "أمي العزيزة.. إنني أرى وأدرك كل هذا. وإن قلبي ليؤلمني من أجلكم ومن أجل سولومون وإخوتي وأمّتي. ولكن كيف يمكن لي يا أمي العزيزة أن أترك الله ولا أعتبر وصاياه؟ لو أنني أخذت هذه الخطوة الآن، فسأكون بالحقيقة مُرتدّة، وستكون خطيتي أمامه عظيمة جدًا، لأنها ستكون خطية ارتُكِبتْ عن عمدٍ ومعرفة. إذا فعلتُ هذا فسأستبدل الأبدي بالوقتي والسماوى بالأرضي. إنني لا أحبكم بقدرٍ أقل الآن.. بل بالعكس، أنا أحبكم الآن أكثر من أي وقتٍ مضى، وأحب سولومون بإعزازٍ شديد. ولكن لا يمكنني الذهاب معه إلى أماكن اللهو والتسلية لأن هذه الأماكن يبغضها ربي وعريسي السماوي، الذي أرغب بشدة أن أكون عروسًا صادقة وأمينة له، وأن أهب نفسي له أكثر من أي إنسان على الأرض."

حتى هذه النقطة كانت السيدة وينبـرج تـستمع مُتذرعـة بالصبر، أما الآن وقد نفذ صبرها تمامًا فقد صاحت بـصوتٍ مُختنق وهي تنتفض مـن الغـضب "مُهرطقـة.. مرتـدة.. عديمة الإيمان. لقد جلبـتِ العـار علـى عائلتنـا العريقـة الشريفة. أنت وصمة عـار علـى عائلتنـا وعلـى أمّتنـا. أخرجي من هنا أنا لا أريد أن أرى وجهك أبدًا".

وبهذه الكلمات قفزت واقفة، وخرجت تجري من الغرفـة. بعد هذه المقابلة بين السيدة وينبـرج و جوديـت، اجتمعـت الأسرتان في مساء أحد الأيام ليقرروا مـاذا يـصنعون مـع جوديت، واتفقوا أن يستدعوا الرَابّي ليتحدث إلـى جوديـت، ولكن هذه الزيارة أسفرت عن ازدياد تمسّك جوديت بإيمانهـا بالحق المُختص بالإنجيل، وخطأ قادة اليهود الـدينيين الـذين يحاولون جاهدين أن يحتفظوا باليهود في ظلامٍ وجهلٍ بالنـسبة للرب يسوع المسيح والإنجيل.

في الساعة الحادية عشر من صباح أحد الأيام، كان هنـاك طرقٌ شديد على باب حجرة جوديت. كانت قـد بقيـت فـي غرفتها مُعظم الوقت. لم يكن هناك مكان لها تذهب إليـه لأن

أصدقاءها القدامى قد أداروا ظهورهم لها، ومنعها والداها من الذهاب إلى الكنيسة التي فيها كانت قد خلُصتْ. لقد منعوا ذهابها وراقبوها حتى لا تذهب. كانوا يراقبون كل خطوة بدقة شديدة؛ ولذلك فضّلت أن تظل في حجرتها.

كانت تشتغل ببعض التطريز عندما سمعت الطرق على بابها. ظنت أن يكون أحد والديها أو سولومون قد حضر ليقنعها بالعودة مرة أخرى إلى اليهودية. ولكن كانت دهشتها عظيمة عندما وجدت "الرَابّي الشيخ" أمامها. فهمت في الحال مهمته التي أتى من أجلها، فقدّمت له كرسيًا مريحًا ودعته للجلوس.

بدأ الرَابّي كلامه ببطء "يا ابنتي، لقد أتيت لأسألك بعض الأسئلة. منذ مدة كنت قد سمعتُ أنك لم تعُدي مُخلصة لدين آبائنا الذي أعطانا إياه يهوه نفسه، وأنك قد اعتنقت المسيحية أو بالأحرى الهرطقة الأممية. أنا لا أستطيع أن أصدق أن أحد أفراد عائلة وينبرج الشريفة يمكن أن يصبح مُرتدًا، إلى أن سمعت الخبر بالأمس من والديك. إنني أشعر بالأسف الشديد لك يا ابنتي، وأرجو بالحق أنك تعودين سريعًا إلى حضن المجمع اليهودي وإلى شعبك. إن سنّك الصغير وعدم خبرتك

هي التي سببت انزلاقك وسقوطك عن طريق الإيمان. ولكن نحن، المجمع اليهودي، على استعداد أن نغفر خطيتك من أجل آبائك الصالحين، إذا كنت تتوبين وتعترفين بذنبك. وسأكون سعيدًا أن أساعدك على الخروج من هذا الموقف السيء" ثم أضاف الرَابّي بلطف، وهو ينظر نظرة عطف أبوي إلى الفتاة الجالسة أمامه "أخبريني يا ابنتي بصراحة: هل صحيح ذلك الخبر الذي يقولونه عنكِ؟ وإذا كان هكذا، فهل أنت على استعداد أن تتوبي وتطلبي الغفران لشرّك العظيم وخطيتك؟

أجابت جوديت "نعم.. نعم، أيها الرَابّي المُوقّر.. أنا على استعداد أن أخبرك بكل شيء كما هو. ففي حدود ما يختص بالديانة التي أعطانا إياها يهوه أنا لم أكن أبدًا غير مُخلصة لها". أومأ الرَابّي بلطف وبدا أنه مسرور. وأكملت هي "أما بخصوص اعتناقي المسيحية، أو كما تدعوها هرطقة أمميه فأنا أخبرك أنني لم أسمع أي شيء عن هذه الهرطقة."

قاطعها الرَابّي مندهشًا "ولكن كيف هذا يا ابنتي؟ هل كل ما سمعته كان كذِبًا؟ هل من الممكن أن يكون كل هذا ليس إلا لهوٌ وعبثُ شباب؟ وحتى لو كان كذلك فهو خطأٌ فادح لا

يليق بك."

"لا أيها الرَابّي.. من فضلك استمع لي حتى أحكي لك كل شيء. الحقيقة هي هذه: منذ زمن بعيد، عندما كنت طفلة صغيرة، سمعت عن هرطقة مسيحية أسسها شخص يهودي يُدعى يسوع الناصري. وتعلمت منذ نعومة أظفاري أن أكره يسوع وأتباعه، وأن أسميهم الأمم. وطوال فترة طفولتي حاولت أن أفعل ما أُخبرتُ به، ظانةً أنني أفعل ما يسّر قلب الله. ولكن عندما كبرتُ، وبدأتُ أفكر لنفسي، وصلت إلى قناعة أنه إن كنت أحب أحدًا فعليّ أن أعرف لماذا أحبّه، وإن كنت أبغض أحدًا فيجب أن أعرف أيضًا لماذا أبغضه.. هل أنا على حق أيها الرَابّي المحترم؟ أنت أحكم مني وتستطيع أن تدلني ما إذا كانت قناعتي منطقية أو أني على خطأ."

نظر إليها الرَابّي في حيرةٍ، وقد شعر بعدم الراحة والانزعاج، ولكنه أجابها موافقًا "أنت على حق يا ابنتي أنت تفكرين تفكيرًا منطقيًا".

واستكملت هي "لذلك عزمت أن أستخدم هذا الأسلوب فيما يختص بهذه القضية، أي المُختصة بيسوع. فقلت لنفسي: إنني

يجب، ولا بد، أن أعرف لماذا ينبغي أن أكره يسوع. ومن هنا بدأت أدرس التوراة والأنبياء، ثم بعد ذلك حياة يسوع عن طريق الإنجيل. وبهذه القراءة اقتنعت أكثر وأكثر أنه لم يكن مُخادعًا كما سمعت وكما غُرس في عقلي مذ كنت طفلة صغيرة، ولكنه المسيا الموعود به، إبن المبارك الذي جاء إلى خاصته. أو بمعنى آخر هو نفسه يهوه الذي أظهر نفسه بطرقٍ متنوعة لإسرائيل، أخذ جسدًا صائرًا في شبه الناس في شخص يسوع الناصري. هذا ما أؤمن به بقوة أيها الرَابّي العزيز. وصلاتي إلى الله أن والديّ العزيزيْن، وأنت، وكل الأمة، تتوقف عن مقاومته تمامًا، وتقبلوه كمسياكم. أنا أؤمن أنه إن آجلاً أو عاجلاً ستعترف إسرائيل بيسوع، وسينظرون إليه الذي طعنوه كما قال زكريا النبي."

تغيّر التعبير الرقيق الذي كان يرتسم على وجه الرَابّي بوضوح شديد، وكلما طال استماعه زادت التعبيرات جديّة وصرامة، ثم بدأت شرارات الغضب تشتعل في وجهه. وأخيرًا، قفز واقفًا على قدميه، وعيناه تومضان غضبًا واستهجانًا، وأخذ يذرع الغرفة جيئةً وذهابًا وهو يشد لحيته

الرمادية بعصبية ظاهرة، ولم يعد في حالة تسمح بأي حديث أطول معها. وبدلاً من أن يقدِّم لها النصيحة بهدوء وبتعقل، أو يثبت لها حكمها الخاطئ، فقَدَ تحكّمَه في نفسه، بل وفقَدَ أيضًا تصرفه اللائق، فبدأ يلعن الفتاة وكل المسيحيين بل والرب يسوع المسيح أيضًا.

وكان التعليق الذي أعلنه الرَابّي لواليّ جوديت أثناء مغادرته المنزل هو: "مثلُ هذه يجب أن تُنبذ وتُستأصل من شعبنا. لقد ضاعت بلا عودة. لا رجاء لمثل حالتها، ولا شيء يُمكن أن يُعمل من أجلها. إنه من المؤسف أن القوانين الأممية لهذه الدولة تمنعنا من تنفيذ قوانيننا وإلا لرجمناها. إنها بالتأكيد تستحق الرجم. نصيحتي إليكم أن تطردوها من بيتكم ومن مجتمعنا بأكثر سرعة، قبل أن تُصبح شَرَكًا لكثير من أبناء اليهود. من الممنوع أن يكون لكم أي صلةٍ بها. إنها مُهرطقة ومجمَعُنا يحرّم أي علاقة بينكم وبينها."

بالحقيقة أن كانت جوديت تزداد خطورة (بمقياسهم) على أصدقائها القدامى من اليهود؛ فبالرغم من كل العوائق، مضت قُدُمًا في طريقها، وكانت كلما سنحت الفرصة تذهب

إلى الاجتماعات الروحية في الكنيسة، واستغلت كل فرصة مُتاحة لتشهد لليهود وتخبرهم أن يسوع المسيح هو بالحقيقة مسيا اليهود ومُخلص العالم.

وإذ رأى سولومون ووالداها أن محاولاتهم لإرجاعها عن المسيحية قد باءت كلها بالفشل، تغيّر موقفهم منها تمامًا. لقد أصبحوا الآن أعظم أعدائها وغرمائها. وأيضًا قد انتهى ارتباطها بسولومون فقد طالب به المجمع اليهودي وأيضًا الوالدان على كلا الجانبيْن.

والآن أصبحت جوديت مُحاطة داخل بيتها بأولئك الذين يبغضونها ويشمئزون منها، وعندما كان يحضر بعض الأصدقاء لزيارة عائلة وينبرج، كانت جوديت تُحبَس داخل غرفتها في الحال. وأشاع والداها بين يهود المدينة أن جوديت أصبحت مُختلّة عقليًا. وعندما كان الزوار يسألون عنها أو يعبّرون عن رغبتهم في رؤيتها، كانت الأم تجيبهم أن جوديت تُصاب أحيانًا بنوبات هياجٍ شديدة، وأنه من الخطورة بمكان خروجها من الغرفة أو دخول أحدٌ إليها لرؤيتها. وكثيرًا ما كانت جوديت تسمع أمها وهي تتحدث عنها بقرب

باب حجرتها وتخبرالضيوف أنها مجنونة وخطرٌ عليهم. في تلك اللحظات كانت جوديت تشعر بقلبها يتمزق بألم لا يمكن وصفه، ولكن كانت التعزية الوحيدة لها في تلك الأوقات هي التي تجدها في مخلصها الغالي عندما تهرع إليه بالصلاة، وكم قوّاها ورفعها وشددها في ساعة التجربة الشديدة.

بعد زيارة الرَابّي بمدة قصيرة، قرّر الوالدان أن ينفِّذا نصيحته ويقذفا بابنتهما خارج البيت، ولكنهما سيتكلمان معها مرة واحدة أخرى قبل طردها. ولذلك، فذات يوم دخل إليها والداها ليقنعاها للمرة الأخيرة أن تعود لليهودية. وإذ وجدا أن توسلاتهما لا تجدي نفعًا، تحوّلا إلى التهديدات. وإذ هذه أيضًا لم تغيّر من معتقدها، شعر الأب بالغيظ الشديد وقال أخيرًا "كل ما يمكن عمله قد عملناه لكي نخلِّصك. لقد حاولنا أن نخلّصك من العذاب الأبدي، ولكن ضاعت مجهوداتنا هباءً، وبدلاً من ترك هذه الهرطقة أُخِذتِ أكثر في حبائلها، ويبدو أن هذا لم يكن كافيًا لك، فأنت تحاولين أن تغوي أختيْك وكل من تقابليه ليقبل هذه الهرطقة. وأنا لا يمكنني أن أترك الأمور تستمر هكذا؛ فإما أن تتكري هذه الهرطقة اليوم، أو تتركي هذا البيت إلى الأبد غدًا صباحًا وتذهبي حيثما تشائين. ولك فرصة حتى

الغد.. هذه هي... كلمتنا الأخيرة لك."

كانت حياة جوديت تزداد صعوبة يومًا بعد يوم في بيت أبيها، كما رأينا، أما كلمات أبيها الأخيرة فقد كانت ضربة رهيبة وقاضية. وتملّك قلبها صراع مخيف وصعب، بعد أن خرج والداها وتركاها وحيدة. لقد رأت الهوة تزداد اتساعًا وعمقًا. لقد احتقرتها أمتها ولفظتها من مدة طويلة، أيضًا سولومون قد تركها، أما الآن فأصعب لحظة في حياتها قد أتت والتي لم تتخيل أبدًا إمكانية حدوثها. فمع أن هذه النتيجة كانت حتمية بعد إيمانها بالرب يسوع المسيح، إلا أنها لم تقبل أبدًا فكرة معاملة والديها لها بهذه الطريقة. كان عليها أن تحدّد وتواجه أصعب مشكلة في حياتها، وكانت المشكلة أكبر بكثير من أن تواجهها فتاة صغيرة بقوتها، ولكن ذاك الذي وعد أن يكون مع خاصته كل الأيام وإلى انقضاء الدهر كان قريبًا جدًا من جوديت في تلك الأوقات الحالكة. كانت قد تعودت على الالتجاء إليه في لحظات الحزن والألم؛ لأن تلك الأوقات الأليمة كانت كثيرة بعد تجديدها.

وتضخمت المصاعب أمامها مثل الجبال، ولم يكن ممكنًا أبدًا وهي الصغيرة الضعيفة الوحيدة أن تشق طريقها

منتصرة إلا بمعونته وتحت حمايته. وهكذا تركت الماضي وراء ظهرها، وبدأت تخطو إلى الأمام بالإيمان مقتفية آثار خُطى ربها وسيدها.

وقبل أن تبدأ في وضع خطتها وبماذا تجيب والديها وكيف ستتصرف، ركعت إلى الأرض تصلي لتطرح الحمل الذي ناء كاهلها عن حمله على الرب. بعد أن قضت وقتها في الشركة مع الرب ووقفت على قدميها، كان القرار قد اتُخذ مرة وإلى الأبد. بعد ذلك الوقت لم يدخل إلى قلبها خاطرٌ يومًا برفض فاديها من أجل أبيها أو أمها أو أي مخلوقٍ آخر. لقد أودعت حياتها لدى الرب في صلاةٍ ملؤها الإيمان وشعرت بيقين شديد أنه لن يتركها أبدًا بدون رحمته ومعونته. إنه لم يدْعُ جميع المتعبين والثقيلي الأحمال باطلاً، ولآخر مرة أسندت جوديت رأسها للنوم على سريرها في بيت والديها، وملأ قلبها سلامٌ عميق يفوق كل عقل. إنها الآن مستعدة وراغبة، إن لم يكن بد، أن تترك بيتها العزيز إلى الأبد.

لم تكن جوديت تنوي أن تبقى في مدينة "ج" يومًا واحدًا. كانت تعلم أنه أمرٌ بالغ الصعوبة أن تكون قريبة من أحبائها

وأصدقائها ومعارفها؛ لذلك قررت أن تذهب إلى مدينة "م" حيث تكون بعيدة جدًا عن معارفها القدامى. كانت تعلم أن في مدينة "م" توجد كنيسة مسيحية كبيرة مثل التي في "ج" التي فيها وجدت الرب. بالإضافة إلى أنها كانت ترجو أن تجد هناك عملاً أكثر سهولة لكسب معيشتها.

بعد أن وصلت إلى هذه القرارات نامت جوديت نومًا مريحًا هادئًا.

في الصباح تقابلت مع والديها على مائدة الإفطار وأخبرتهما، بين دموعها، عن قرارها بأن تظل أمينة لربها ومخلِّصها حتى ولو كان عليها أن تترك البيت من أجله.

o بابا.. لقد طلبت مني بالأمس أنت وماما أن أختار ما بين الرب وبينكم. ولقد صليت وفكرت طويلاً. والآن أنا مستعدة، إذا طلبتم مني، أن أترك البيت... عن أن..."

ثم حالت الدموع تمامًا بينها وبين نطق كلمة واحدة أخرى؛ فاسترسلت في بكاء مرير، ثم قامت عن المائدة والتجأت إلى غرفتها.

قال السيد وينبرج واجمًا "لا فائدة على الإطلاق.. أولئك

الناس قد أفسدوا جوديت تمامًا. دعيها تذهب.. فمن المستحيل بقاؤها في منزلنا بعد."

أجابت الأم "نعم هي ميؤوسٌ منها. لقد ضاعت منا جوديت، وإن كان أحياناً يعاودني الأمل في رجوعها مرة أخرى. لقد اكتشفت في يوم آخر أنها لم تُعتبر واحدة من أعضاء الكنيسة المسيحية بعد، فقد علمت أنهم قبل أن يقبلوا عضوية الشخص يجب أن يعتمد بالتغطيس في الماء أولاً. وجوديت لم تعتمد بعد كما فهمت. هذه الحقيقة تشجعني وتعطيني أملاً، ولو ضعيفًا، في عودتها. لم يضِعْ كل شيء بعد. علينا أن نفعل ما نستطيع لنمنع بقاءها في هذه المدينة. فبقاؤها هنا يجلب علينا العار والخزي، كما أن وجودها بالقرب من هذه الكنيسة يجعل من الجائز جدًا انضمامها إليها، وفي هذه الحالة لن يكون هناك أملٌ على الإطلاق. من الأفضل أن تذهب إلى مكانٍ بعيد؛ فالبعد عن البيت قد يعطيها تعقلاً. دعنا نتركها تعتمد على نفسها في حياتها."

في هذه اللحظة عادت جوديت. لقد سكبت حزنها في دموعها، والآن تمالكت نفسها وأصبحت هادئة. وبعد أن

أخذت مكانها على المائدة التفتت إلى والديها "لقد قلت لكم أنني على استعداد أن أترك البيت إن أردتم، ولكني أعتقد أنه سيكون من الصعب عليكم وعليّ أيضًا لو أنني بقيت في "ج" ولذلك فقد فكرت أنه من الأفضل لي أن أذهب إلى "م"."

بعد فترة صمت قصيرة قال الأب "حسنًا، سأحاول أن أحصل اليوم على تذكرة إلى "م" على أن تسافري غدًا في قطار الصباح". ثم التفت إلى زوجته "أعدّي ملابسها وكل ما تحتاجه للرحلة.. ينبغي أن أتوجه الآن إلى عملي". ثم قام وخرج.

بعد إعداد حقائبها، وجدت جوديت بعض الدقائق لزيارة أصدقائها المسيحيين. كانت تريد أن تودّعهم وتخبرهم بأمر مغادرتها للبلد. كان المسيحيون يعرفون المعاناة الشديدة التي تعانيها جوديت، وكم من صلوات قد رفعوها أمام عرش النعمة من أجلها، سواء في اجتماعات الصلاة أو في بيوتهم الخاصة. كانوا يصلّون من أجلها لكي تتحمل كل المآسي والاضطهادات، وأن يحفظها الرب صادقة وأمينة، وأن يرفع عنها تلك المعاناة. لذلك فقد قوبلت أخبار مغادرتها للمدينة بفرح عظيم من الكنيسة، حيث وجدوا فيها استجابة

لصلواتها. وإذ كانوا يودّعونها طلبوا بركة الرب لها، وتمنّوا لها كل الخير. وأعطاها الراعي بعض عناوين المسيحين، وخطاب تقديم أو تعريف لراعي الكنيسة في "م"، وطلب فيه منه أن يقبل جوديت كابنة حقيقية لله، وأن يساعدها في كل ما تحتاجه باعتبارها غريبة في "م".

أما وداع والديها وأختيها فقد كان باردًا جدًا. كان الجميع ينظرون إليها كعدو لهم، ولم تذهب معها أمها ولا أختاها إلى محطة القطار. هذه المعاملة الباردة التي بلا قلب من أحبائها ضغطت على قلبها الرقيق كحجرٍ ثقيل، ولكن الرب الذي من أجله احتُقرت واضطُهدت لم يسمح لها أن تترك المدينة مُثقلة ومحزونة بل أعد لها مفاجأة جميلة مفرحة؛ فعندما وصلت جوديت إلى المحطة مع والدها، اندهشت عندما رأت كل أعضاء الكنيسة مجتمعين على رصيف المحطة. أيضًا إليزابيث ابنة الخادم، وهي زميلة سابقة لها، حيّتها مقدِّمة لها باقة جميلة من الورد باسم جماعة الشباب الناشئ المسيحي. كان هذا الوداع من المسيحيين مؤثِّرًا بالحقيقة. كل واحد منهم قدم لها آية مشجّعة أو عبارة تعزية أو كلمة إنعاش

للطريق. فقط والدها هو الذي أدار ظهره لها وكان يتكلم مع شخصٍ يهودي قابله على رصيف المحطة.

عندما بدأ القطار يتحرك ملأت دوائر المحطة ترانيم الوداع المسيحية الجميلة. كانت الكلمات شيئًا مثل هذا:

ساعة الوداع ها هي قد جاءتْ..
وآلامُ الفراقِ قلوبَنا أصابتْ...
علينا الآن أن نفترقْ...
وهذ الفراقُ علينا يشقْ...
لا أحدَ أبدًا يعرفُ ويقدّر حزنَنا...
سوانا نحن والله من أحبُنا"

كثيرون أخذوا يرنمون، والدموع في عيونهم؛ فقد كان مؤسفًا لهم جدًا أن يفترقوا عن جوديت. لقد تعلموا أن يحبّوها ويقدّروها. غير أنّ هذا الحزن كان ممتزجًا بالفرح، إذ كانوا يدركون أنها بهذا الرحيل ستتخلص من آلامٍ واضطهاداتٍ مريرة قاستها في بيتِ أبيها.

وامتزج شعورٌ قويٌ بالفرح والألم العميق في قلب جوديت وهي تقف بجوار باب العربة المفتوح تُلوّح بمنديلها وتودّع

أصدقاءها الأعزاء في المسيح. وشعرت بقلبِها ينكسر بشدة فيها لأن أباها لم يوّجه كلمة واحدة إليها قبل رحيلها، بل يبدو أنه لم يلاحظ أن القطار يحمل ابنته بعيدًا عنه، ولم يقل لها حتى كلمة وداع واحدة.

وامتلك القطار سرعته، وتحرك بسرعة بعيدًا عن المحطة. ولمدة طويلة ظلت جوديت بجانب الباب المفتوح تنظر خلفها إلى المدينة التي كان لها فيها الكثير من الاختبارات في السنوات الأخيرة: هنا أحبّت سولومون، وقضت فترة من الوقت سعيدة وفرِحة، ثم بكامل إرادتها الحرة تخلّت عن هذا الحب من أجل حب فاديها وربّها الذي له قد أعطت كل قلبها.. هنا في هذه المدينة قد اجتازت أقسى تجارب حياتها، وهنا أيضًا استشعرت لأول مرة بُغضة أعزائها وأصدقائها.. هنا كان الامتحان بالغ الصعوبة لإيمانها، حتى أنها كان من الممكن أن تنهار تحت وطأتهِ؛ لولا الرب الذي ترفَّق بها وحملها على ذراعيه خلاله.. هنا انحلّت أحلى ربُط المحبة بين والديها وأختيها وأمتّها وبينها. لقد ضحّت بكل الأمور الأرضية الغالية على قلبها لتفوز بما هو سماوي لا يزول، ولم

تصل جوديت إلى هذا الوضع بدون صراع داخلي عنيف وإنكارٍ كبير للذات وإنما حبُها الكبير للرب هو الذي أعطاها الشجاعة والقوة لتسير وتستمر في الطريق الذي بدأته. والآن ها هي منفيّة ومطرودة من بيتها ومن أمّتها.

عند هذا الفكر شعرت بضغط الألم القاسي يعتصر قلبها مُجدَّدًا؛ فجرت دموعٌ كبيرة وثقيلة على وجنتيها الشاحبتيْن، ولآخر مرة عادت تنظر إلى المدينة التي تتوارى رويدًا عن ناظريها. وصعدت من قلبها آهة عميقة وثقيلة وهي تعود إلى مقصورتها وشفتاها تنطقان بهذه الكلمات "وداعًا للجميع... ربما... إلى الأبد."

سُرّت كثيرًا جوديت عندما وجدت أنه لا أحد يشاركها المقصورة، وشكرت الرب من أجل إتاحة فرصة هادئة معه.

أخذت الفتاة تفكّر "الآن أنا سائحة وغريبة مثل إبراهيم. كل أقاربي وأصدقائي تركتهم خلفي؛ فالشكر والحمد لك يا مخلّصي، فكما أنك لم تترك ابراهيم ولا أي أحد من أبنائك الأمناء، هكذا أنت تذهب معي وأنا ضعيفة صغيرة السن بلا خبرة".

بعد هذه الصلاة الصغيرة بدأت جوديت ترنم بصوتٍ

رقيق ترنيمتها المفضّلة التي كانت تحب أن ترنمها في الاجتماعات الروحية في الكنيسة وأيضًا في بيتها عندما تشتد عليها موجات التجارب العالية:

١ يا يسوعُ ها صليبي أحملُ كيْ أتبَعكْ
متروكًا مرفوضًا لكنْ من اليوم أنا لكْ

القرار

أتْبعْكَ مخلّصي يا من سفكتَ الدَمَا
وإن ولّى الكلُّ عنكَ أبقى معْكَ دائما

٢ ضاعَ كلُ ما رجوتُ كلُ ما قد كان لي
غيرَ أنني غنيّ فالسما والله لي

٣ دَعِ الناسَ يخزونني فهم أخزوا سيدي
وقلوبُ الناسِ تَخدعْ أما أنتَ فالوفي

٤ إن تبسّمتَ في وجهي ربَّ الحكمةِ المنّانْ
سيضيئ الكلُ حولي مهما شرُ الناسِ كانْ

٥ إن آذوني الناسُ أهرعْ إلى حِضنِكَ المريحْ
مهما أعيَيتُ في سيري في السماءِ أستريحْ

هذه الترنيمة كانت دائما صلاتها الحارة من قلبها المُشتاق، والرب كان معها؛ لأنه وعد أن يكون مع الذين أعطوه قلوبهم إلى انقضاء الدهر. والرب، الراعي الصالح، اعتنى بخروفه المتروك من الكل؛ فكان له الصدرالحنون الذي استطاع الخروف أن يجد كل راحته في حضنه. لقد تعوَّدت جوديت في أيام الحزن والاضطهاد أن تثق فيه تمام الثقة في كل شيء. ومستقبلها المجهول أيضًا تعلمت أن تسلمه ليديه المُحبتيْن بالكامل. كانت تعلم أن أول صديق ستقابله في المدينة الغريبة سيكون هو نفسه الصديق الذي رافقها طوال الرحلة من مدينة "ج"؛ لأن الله قد تعهّد بحفظ أبنائه في خروجهم ودخولهم هنا على الأرض.

وأثبت إيمان جوديت في الرب أنه ليس باطلاً لأنه لم يتركها أبدًا. لقد تركت والديها وأختيْها وأمّتها من أجل خاطر اسمه، ولكنها قبلت من الرب مائة ضعف إخوة وأخوات، بل إنها كسبت أيضًا أمة جديدة، شعب الله؛ ليس اسمًا فقط بل هم بالحق خاصته ويخدمونه بقلبٍ كامل، شعب ينتمي إليه كل الذين قبلوا الرب يسوع في قلوبهم وتغسّلوا

بدمه الكريم وافترزوا عن كل قبيلة وأمة هنا على الأرض.

وإذ كان مع جوديت عناوين المسيحيين في مدينة "م" وخطاب التعريف إلى راعي الكنيسة الإنجيلية هناك، لذلك فقد توجهت من المحطة إلى بيت الراعي بمجرد وصولها إلى المدينة الجديدة.

وقام أعضاء الكنيسة، وخاصةً الشباب، بكل ما يمكن عمله لكي تكون أمور جوديت سهلة بقدر الإمكان، وبمساعدتهم وجدت جوديت بسرعة وظيفة في مكتب بإحدى الهيئات بالمدينة. وتأثّر قلب جوديت الرقيق بالمحبة التي ظهرت من أولاد الله في "ج" وأيضًا في المدينة الجديدة. هذه المحبة والعناية التي أظهرها المسيحيون نحوها كانت سببًا قويًا في تعضيد إيمانها والتصاقها أكثر بالرب، وبها شعرت أنها مرتبطة بهم أكثر وأكثر كل يوم.

وبارك الرب حياة جوديت في "م" بركة عظيمة جدًا، وعوّضها عن كل الآلام السابقة من أجله. ولأنها كانت تكسب معيشتها ولم تعتمد على أحد، فقد استطاعت أن تخدم الرب بدون معوقات. وهي خدمت الرب فعلاً، وبكل أمانة.

وبعد قليل أصبحت عضوة في اجتماعات الشباب، وبدأت ترنم مع جوقة الترنيم، واشتركت في خدمة مدارس الأحد بسبب محبتها الشديدة للأطفال. وكثيرًا ما شهدت عن الرب في اجتماعات الشباب وفي مكان عملها وأينما أُتيحت لها الفرصة، وكانت أعمالها وتصرفاتها وحياتها هي التي أعطت القوة لشهادتها.

ولأن جوديت تربت في رغدٍ من العيش محاطة بالثراء؛ فهي لم تتعود على بذل مجهودٍ جسدي، ولكن مع ذلك نراها تتوق إلى مساعدة الضعفاء وغير القادرين على العمل. وبمعاونة بعض الفتيات، كانت تزور المرضى والفقراء في بيوتهم مُعتنية بهم إذا دعت الحاجة، فتنظف بيوتهم وتساعدهم بكل طريقة مُمكنة. وكانت مساعدة جوديت للمساكين والمحتاجين مصدر سعادة كبيرة جدًا لها ولكثيرين آخرين. وشجّع حماسُها الكبير للخدمة، وتواضعُها الجّم، كثيرين من مجتمع الشباب؛ فحذو حذوها. وهكذا جلبت جوديت معها موردًا هائلاً من الفرح والنشاط والبركة لهذا المُجتمع.

* * *

جاء الربيع، وكل شيء بدأ ينمو ويتفتح، وبدأت الحقول والغابات ترتدي ثوبها الجميل كما لو كانت تتهيأ لعرسٍ بهيج، وامتلأت بالأغاريد الرائعة لجماهير العصافير المبتهجة. وهكذا، جاءت الحياة بعد موت الشتاء البارد الطويل. كانت جوديت مغرمة بالخروج والتنزه، فكانت في أيام الآحاد تخرج مع فريق من الشباب إلى الريف، وهناك كانت تستمتع كثيرًا بالأزهار والأشجار والعشب الأخضر الزاهي. وكانت ترفع الشكر والحمد للخالق الذي أعتق الطبيعة من الثلج والجليد، وأعتقها هي من قيود الظلام والخطية والموت، واستنهض روحها إلى حياةٍ جديدة. نعم لقد ابتدأ في قلبها ربيعًا من المجد والحياة الأبدية الرائعة، وانزاح إلى الأبد غطاء الخطية والموت الجليدي، وتغنّىَ في قلبها صوت رقيق لطيف "الحياة.. جاءت الحياة.. جاءت الحياة الأبدية."

بالحقيقة قد امتلكت جوديت الحياة، وامتلكتها بغنىَ وليس لنفسها فقط وإنما حملتها إلى الآخرين الذين كانوا ما زالوا يرزحون تحت ثقل الخطية وقيود الموت الروحي.

كانت تحب أن تذهب مع بعض الشباب في أيام الآحاد والإجازات إلى القرى المجاورة، وكان يسعدها جدًا أن تقرأ هناك بعض الفصول من الإنجيل للناس البسطاء الأميين الذين يجتمعون حولها. كانت تلك المجموعة من البسطاء، الذين لا يعرفون الكثير عن الرب وعن محبته، غالية جدًا على قلبها. كانت تشعر بالأسف الشديد من أجل هؤلاء الناس الذين يُدعوْن مسيحيون ومع ذلك لم يخبرهم أحدٌ عن مخلِّصهم الذي مات على الصليب لكي ينقذهم. لم يكن قد سبق لها أبدًا معرفة الروس الشعبيين البسطاء ولا الاحتكاك بهم، لأنها قضت كل حياتها قبلاً في المدينة حيث كانت دائمًا في رفقة اليهود. ولأنها تربّت في روح يهودية متزمتة فقد تعلمت أن تعتبر الروس هم أمم وثنيين معادين لله، ولكن منذ أن تعرفت على هؤلاء الناس أصبحت ترغب لو أنها كرست حياتها لخدمتهم. وتذكّرت جوديت حديثها مع جدها عندما كان يحاول أن يثبت لها أن يسوع ليس هو المسيا بدليل أن أتباعه ليسوا أناسًا صالحين وأنهم يكرهون اليهود. ولكن جوديت فهمت الآن لماذا هؤلاء المدعوّون مسيحيون يكرهون اليهود ويتحاربون فيما بينهم ويتصارعون معًا

صراعات سياسية وروحية. لقد أدركت أن هؤلاء "المسيحيين" يحملون اسْم المسيح بدون وعي، وهم في الحقيقة يقاومون المسيح تمامًا مثل اليهود. لقد رأت أنهم – مثل اليهود – لا يعرفون المسيح ولا إنجيله؛ ولذا فهم لا يحبون بعضهم بعضًا كما علّمنا المسيح. فالواحد منهم مثل الآخر لا يعرف الرب يسوع المسيح وفداءه تمامًا، كما كانت هي أيضًا لمدة طويلة، ومعرفتها لهذا الأمر جعلها تزداد حماسًا أن تحكي قصة الإنجيل في كل مكان ما أمكنها.

وبينما كان عملها أساسًا بين الروس، إلا أنه كانت هناك محبة قوية وحارة من جهة شعبها أيضًا، أي اليهود. وكانت كلما قابلت يهودًا، في مكتبها أو في الشارع أو في أي مكان آخر، كانت تنتهز الفرصة في الحال لكي تكلمهم عن مخلِّصها الرب يسوع المسيح، وإن كانت عادةً ما تُقابَل بالعداوة والازدراء. ولكن الأمر كان مختلفًا مع الروس البسطاء الريفيين، كانوا يحبون أن يستمعوا، كما كانوا يصغون بانتباه عندما كانت تقرأ لهم الكتاب المقدس أو تحكي لهم قصصًا من الإنجيل، بل وكثيرًا ما كانت ترى إحداهن أو أخرى تجفف دموعها في صمتٍ تأثرًا.

في اجتماعات الشباب، كانت جوديت دائمًا هي الرائدة والمنظّمة لمجموعات الزيارات التبشيرية في القرى والبلدان والأرياف، وكانت تنتظر بفارغ الصبر الأيام المحددة لزيارة القرى التي تجاور مدينة "م".

وذات ليلة، كان هناك اجتماع تبشيري خاص، حيث قدّم الخدمة ضيفٌ مُرسل كان قَبلاً يهوديًا وقَبِلَ المسيح المخلِّص. كانت الخدمة مؤثرة جدًا، وبعد الخدمة قام عدد من الحاضرين وأعلنوا انضمامهم إلى الكنيسة. وأيقظت شجاعة هؤلاء الشباب نفس الرغبة في جوديت. كانت قد فكّرت في هذا الأمر عدة مرات؛ فهي منذ مُدة قَبِلَت الرب يسوع وسلّمته قلبها، ومع أنها كانت تعلم أن المسيحيين يحبّونها كأختٍ لهم في المسيح، ولكنها أيضًا كانت تدرك ضرورة المعمودية كخطوة رسمية تعلن بها إيمانها. وإذ درست كلمة الله اقتنعت تمامًا أنها يجب أن تتمم هي أيضًا إرادة الرب من جهة هذا الأمر. ولكن حتى ذلك الوقت كانت تنقصها الشجاعة أن تُقْدِم على هذه الخطوة الفاصلة.

كان هناك أمران يمنعانها من اتخاذ هذه الخطوة. الأمر

الأول هو أنها كانت تعتقد أنها لم تتأسس في الإيمان تأسيسًا كاملاً بعد وقد تتعثر في طريقها، وحيث أنها ستعلن انتمائها إلى الكنيسة فسيثير هذا سخرية غير المؤمنين، وهكذا تجلب الإهانة للكنيسة. أما الأمر الثاني فهو حبها الشديد لوالدتها. كانت تعلم أنه بمجرد إعلان انضمامها إلى الكنيسة رسميًا ستتمزق كل العلاقات بينها وبين عائلتها إلى الأبد، لأنها حتى ذلك الوقت كانت على تواصُلْ مع أحبائها. ولكن إذ رأت عزم أولئك الشباب، وإذ اقتنعت بأن الرب يريدها أن تعلن الأمر، فقد قررت التنفيذ.

بالطبع، كان هذا الأمر بالنسبة لجوديت أصعب بكثير من الصعوبة التي يواجهها غير اليهود، لأن هذا القرار يعني انفصالها التام عن أمّتها والدين التي تدين به أمّتها. في الحقيقة كان الانفصال قد حدث منذ مدة طويلة، ولكن الآن سيأخذ شكلاً رسميًا ويُعلَن إعلانًا عموميًا شعبيًا.

وقفت جوديت على قدميها، وأعلنت رغبتها، فقابل المؤمنون هذا الطلب بالترحاب والفرح والشكر العميق للرب. وهكذا قطعت جوديت آخر صلة لها بالماضي، وأعطت نفسها بالتمام

للحياة الجديدة التي وجدتها في الرب يسوع المسيح، وعقدت العزم أن تتبعه دون أن تنظر إلى الخلف.

* * *

والآن مر عام منذ تركت جوديت بيتها وذهبت إلى "م"، وكانت بين حينٍ وآخر تصلها خطابات من أمها وأختيها، وكان كل خطاب يحتوي على تحريضات وتوسلات من الأم على العودة إلى دين آبائها وإلى أمّتها وإلى بيت والديها. وكم ذرفت جوديت من دموع بسبب هذه الخطابات، وكانت تصلي يوميًا بجهادٍ شديد إلى الرب من أجل تجديد أحبائها، ومع ذلك فقد أظهرت الخطابات كم كانت قلوبهم بعيدة جدًا عن الرب.

وجاء والدها مرتيْن إلى "م" لأمور بخصوص العمل، ولكن هذه الزيارات كانت قصيرة، وكان هو دائمًا باردًا وجافًا. وكان السيد وينبرج في هذه الزيارات حريصًا ألاّ يتحدث أبدًا في موضوع عقائدها. كان عادة يسألها عن صحتها و بعض الأسئلة غير المهمة عن حياتها، ثم يبلغها تحيات أمها وأختيها، ويغادر متعللا ببعض الأسباب التافهة لتعجّله.

في الخطاب الأخير، كانت أم جوديت مصرّة إصرارا شديدًا على زيارة جوديت للبيت، كما كانت جوديت أيضًا في اشتياق شديد أن ترى أمها وأختيْها، مع أنها كانت تخشى مقابلتهم، خصوصًا مُقابلة أمها لأنها علمت أنه عندما كان والدها في "م" جمع معلومات من اليهود الذين في المدينة عن حياتها ونشاطها وموقفها من المسيحية. ربما لم تعرف أمها حتى الآن موضوع معموديتها وانضمامها الرسمي للكنيسة لكنها بلا شك ستسألها عن هذا الأمر عندما تعود إلى البيت. كان مجرد التفكير في نتائج هذا الأمر ترعبها جدًا.

ومع ذلك استجابت جوديت لتوسلات أمها وإلى نبض قلبها، وعادت إلى البيت عندما مُنحت إجازة لمدة شهر. كان هناك مزيج من مشاعر الفرح المختلط بالجزع والترقب عندما كانت تقترب من بيت أبويها، مما جعل قلبها تتسارع نبضاته بشكل ملحوظ.

قابلتها الأم والأختين بفرحٍ عظيم وحبٍ كبير، فقد كانوا ينتظرون وصولها بفارغ الصبر، فهم كانوا يعيشون معًا بعلاقة صداقة حميمة ومحبة شديدة من نحو بعضهم البعض؛

ولذلك فقد افتقدوا جوديت بشدة عند رحيلها. إلى جانب أن والدة جوديت كان ما زال يحدوها الأمل أن تكون جوديت قد أحبِطت ولان عزمها بعدما اختبرت لفترة ليست قصيرة صعوبة الحياة بعيدًا عن البيت والاعتماد على نفسها في كسب معيشتها، وهكذا تعود بسهولة إلى ديانة آبائها.

مرت أيامٌ قليلة سعيدة قُضيتْ في هناءٍ مع أهلها، وكانت الأختان الصغيرتان متشوقتان أن تخبرا جوديت بكل ما جرى أثناء غيابها عن المدينة. كانت روث قد أنهت دراستها العليا وتستعد للالتحاق بكلية الطب في الخريف القادم، وكانت الفتاة تحب أن تتحدث مع جوديت في هذا الموضوع وأن تشركها في خططها فكانت تقول لها "ألا يكون هذا رائعًا أن تظلي أنت في "م" وأنا أذهب للدراسة هناك ونقطن حجرة واحدة.. كم سأسعد أن يكون هكذا!"

أيضًا جوديت حكت لهم أمورًا كثيرة مثيرة، لكنها، كما كانت روث وسارة أيضًا، حريصة على تجنب الحديث عن معتقداتها الدينية. والأم، مع أنها كانت إلى حدٍ ما بعيدة عنها، إلا أنها كانت لطيفة ورقيقة معها، ومع ذلك فقد كانت،

كما كانت أيضًا ابنتيها الصغيرتيْن، مضطربون داخليًا بسبب السؤال المشتعل في قلوبهم عن معتقدات جوديت الدينية، ذلك لأن جوديت تحاشت في خطاباتها أي ذكر لهذا الموضوع رغبة منها في عدم إثارة غضب أمها أكثر من اللازم.

هذا السؤال الحساس وجد حلاً تلقائيًا في أول يوم أحد بعد وصولها. في ذلك اليوم، كانت محلات السيد وينبرج مُغلقة حسب قوانين البلد، وقرّرت العائلة كلها أن تذهب إلى المسرح، ولم يسأل أحدٌ جوديت مُسبقًا إن كانت ستذهب أم لا. عندما حان الوقت وبدأ الجميع يرتدون ملابسهم قالت جوديت أنها تفضّل البقاء في البيت. التفت إليها أبوها عابسًا ولكنه لم يتكلم، أما الأم فقد احمر وجهها باستياء شديد وهي ترمقها في دهشة. كان هذا الرفض لحضور المسرح هو بالنسبة لهم أفصح شهادة عن موقفها. لقد رأوا أن التغيير الذي كانوا يرغبونه ويرجونه فيها لم يحدث. لقد ظلت جوديت أمينة للمبادئ التي اعتنقتها. من تلك الليلة تغيرت العلاقة بشدة بين جوديت ووالديها. لقد أصبحوا جافين وبعداء عنها. بعد ثلاثة أيام دخلت روث ومعها سارة إلى

حجرة جوديت بعد انتهاء واجبات اليوم. كانوا يتحدثون عنها طوال اليوم وقررا أن يتحدثا معها شخصيًا ليسألاها عن سبب عدم الذهاب معهم يوم الأحد. وفكّرا أنهما بعد ذلك ينتهزان الفرصة ويطلبان منها أن تترك معتقداتها السخيفة، كما كانوا يسمونها فيما بينهما.

كانت جوديت تصلي باستمرار من أجل اختيها، ومنذ عادت إلي البيت وهي تطالب الرب بفرصة خاصة لتحدّثما عن الرب يسوع المسيح، ولكنها كانت تخشى أن تبدأ حديثًا من هذا النوع معهما عالمةً أن أختيها شُحنتا من الآخرين ضدها وأنهما لن تستمعا إليها لو كلّمتهما عن خلاص نفسيْهما. والآن شعرت جوديت بسعادة فائقة عندما رأت أختيها تدخلان حجرتها، وشعرت أن هذه الفرصة هي من الله؛ فأجلستهما واحدة عن يمينها والأخرى عن يسارها على الأريكة، وأخذت تستمع إلى ما يريدون أن يسألونها عنه أو يحدثونها به. بعد أن أنتهى حديثُهما، أخذت تشرح لهم بكل لطفٍ ورقةٍ لماذا رفضت أن تذهب معهم إلى المسرح، وأن إيمانها بالمسيح لم يكن وهمٌ أو ضلال أو نزوة سخيفة وإنما هو يُعتبر طاعة عميقة وجادة

لإرادة الله. ثم أخذت كتابها المقدس الغالي، الـذي لا تفارقـه الآن أبدًا، من على المنضة التي أمامها، وبدأت تقـرأ لأختيهـا عن "يسوع" وكيف أن واحدًا من الرَابّيين أُثبـت للآخـرين أن يسوع كان بالحقيقة هو مسيا اليهود.

كانت جوديت عند هذه النقطة تنظر بعينيها البهيجتيْن إلـى روث وسألتها إن كانت تتذكر كيف أنها (أي روث) استيقظت في إحدى الليالي ووجدتها تجلس على عتبة النافذة عندما كـان الرَابّيون يزورون جدها. كانت روث مُستغرقة فيما تحـدثهم بها جوديت، فهزت رأسها في صمت.

واستمرت جوديت "منذ ذلك الوقت والأفكار عـن المـسيا وعن من يكون يسوع هذا لم يفارق ذهني قط. أحيانًـا كنـت أنسى هذا الموضوع لفترة ما، ولكن سرعان ما كـان يعـود مرة أخرى إلى ذهني. بعدها بدأت أقرأ التوراة بدقـةٍ أكثـر، وكلما قرأت أكثر كلما اقتنعت أكثر أن يـسوع المـسيح هـو بالحقيقة مسيا اليهود. وقد صوّر النبي إشـعياء حياتـه هنـا على الأرض بـصراحة ووضـوح فـي الأصـحاح الثالـث والخمسون من نبوته. ها هو..."

فتحت جوديت كتابها وقرأت الأصحاح كله. ثم أردفت "مع إنني اقتنعت تمامًا أنه المسيا، إلا أنني لم أعرف عنه ولا عن حياته إلا القليل. كنت أعرف فقط ما قاله لي جدي عن آلامه وموته. وأعتقد أنكم ما زلتم تذكرون القصة التي قصها لنا جدي في إحدى الليالي عندما كنا نجلس في الشرفة. بالطبع أكّد لي وقتها أن يسوع كان شخصًا مُخادعًا، وأنه مات بسبب ما اقترفه من ذنب. غير أن الرب الذي كنت أبحث عنه وتشتاق نفسي إليه، قادني كما أنتم تعرفون إلى اجتماعٍ مسيحي، وهناك سمعت لأول مرة الحق المختص بيسوع المسيح. هناك رأيت وتأكدتُ تمامًا أن يسوع هو بالحقيقة مسيا اليهود، ابن المبارك ومخلصي الشخصي. ومنذ ذلك الوقت أعطيته قلبي ملكًا كاملاً له، شاهدةً عن حبه العظيم للخطاة المساكين؛ حتى يأتي إليه كل من لا يعرفه، ويبغضه ويضطهده، حتى يعرفه ويصبح سعيدًا فيه.. آه يا عزيزتيَّ روث وسارة، كم أتمنى أنكما أنتما أيضًا تعطونه قلبيكما. إنني أصلي بلا توقف إلى مخلصي أن يتحقق هذا الأمر إن آجلاً أو عاجلاً."

وابتدأت عينا جوديت تمتلئان بالدموع، ووضعت ذراعيها حول أختيها وقبّلتهما واحتضنتهما بحرارة. "إنه أمر يحزنني حزناً يفوق الوصف ويؤلمني جدًا أن يكون هناك، عميقًا في قلبيكما، بغضة من جهتي. الشيء الوحيد الذي يعزيني أنكما تفعلان هذا بعدم معرفة. لقد غُرسَ في قلبيكما أنني مُلحدة، رافضةٍ لله، مهرطقة، وبحسب الشريعة يجب أن أُرجم. واليوم هو أول فرصة سنحت لي لكي أفتح فيها قلبي لكما. أنا لا أعرف كيف تستقبلان كلامي، هذا يرجع إليكما، فأنتما لم تعودا بعد صغارًا بل قادرتان أن تحكما لنفسيكما. لكن لي طلبة واحدة عندكما: لا تكونا قاسيتيْن أو جافتيْن معي.. إبدأا قراءة الكتاب المقدس الرائع والرب سيعلن لكما عن نفسه."

طوقّت روث عنق جوديت بذراعيها، وقالت بينما الدموع تنهمر من عينيها "أرجوك سامحيني يا عزيزتي جوديت"، وبكت أيضًا سارة بمرارة قائلةً "سامحيني أنا أيضًا يا جوديت."

لدقائق قليلة ظلت الأخوات الثلاث جالساتٍ في صمت يحتضنّ بعضهن البعض. كان الهدوء يخيم على المشهد إلا من شهقات البكاء التي تكسر حدة السكون بالغرفة. زاد

نحيب سارة، واقتربت أكثر من أختها وقالت بين شهقاتها "لماذا انفصلنا عن بعضنا البعض. ما أقسى الناس الذين يزرعون الفرقة والبغضة بيننا."

وأكملت روث بتأثر "نحن لم نعلم أي شيء عما حدّثتنا به الليلة، نحن الاثنتان لم تكن تهمنا المسائل التي تخص الدين أو الله". ثم أضافت بتصميم "لكن شيئًا واحدًا أنا أعرفه الآن، وهو أنه مهما حدث فلن أتوقف أبدًا عن أن أحبك بشدة وبكل قلبي. وإن كان قبلاً في قلبي أي شيء ضدك فأنا أكرر ثانية أنني أرجو أن تسامحينني يا عزيزتي جوديت. وليت إلهك يعينك ويباركك."

كانت الساعة الواحدة صباحًا تقريبًا عندما قامت الأختان وذهبتا كل واحدة إلى غرفتها. قامتا وهما في تمام المصالحة مع جوديت، وبعزم أكيد أن تدافعا عنها وتصدّا هجوم الآخرين إذا لزم الأمر. وإذ بقيتْ جوديت وحدها، رفعت قلبها في صلاة حارة إلى الرب شاكرة إياه من أجل الفرصة الرائعة التي منحها إياها لتتكلم أختيها عنه، لقد استجاب صلواتها وما كانت تطلبه وتتوق إليه. وكان من

دواعي سرورها البالغ أن تعرف أن أختيها ما زالتا تحبانها ولا تبغضانها بعد، والآن هما أصدقاءها كما كانتا من قبل.

قبل أن تأوي إلى فراشها، رفعت هذه الصلاة الحارة من أعماق قلبها:

"آه كم أنت رحيم وإحساناتك عجيبة يا فاديّ المبارك. أنت دائمًا كنت تحميني تحت ظل جناحيك، وأعنتني في ضعفي. من فضلك خلّص والديّ وأختيّ أيضًا، ودعهم يكونون تلاميذك بالحق. أظهر ذاتك في حبك ومجدك لهم كما فعلتَ معي. دعهم ينظرون إليك يا من طعنوه.. والشكر والكرامة والمجد لك من أجل كل ما صنعته معي. آمين."

* * *

ومر يومان بدون أحداثٍ تُذكر. كانت الأم وينبرج وروث جالستيْن في الردهة، وباقي أعضاء الأسرة لم يكونوا بالمنزل، وكانت جوديت قد ذهبت إلى اجتماع صلاة المسيحيين، والباقيتان في البيت، روث وأمها، كانتا منشغلتين بحديث هام جدًا.

قالت الأم، في سخرية، بعد فترة صمت قصيرة وهي

تنظر إلى ابنتها بعينيْن غاضبتيْن "ألا تريدين أنت أيضًا أن تتبعي خطوات أختك الغالية؟"

أجابت روث بوداعة "لا يا أمي، ولكنني أرى أنه موقف ظالم جدًا ولا إنساني أن نعامل جوديت بالطريقة التي عاملناها بها حتى الوقت الحاضر، لا لشيء إلا لأنها تعتقد فيما نعتقد بالله باستثناء اختلاف بسيط".

أجابت الأم بسرعة وانفعال؛ إذ أثارتها كلمات ابنتها بشدة "كلام غير صحيح. إنها قد تحولت عن الله لتؤمن بمحتال."

"كلا ياأمي العزيزة.. في نظر جوديت يسوع ليس مُحتالا بل هو مسيا اليهود. إنها مقتنعة بشدة أن هذا صحيحًا، وإن كانت مُخطئة فليعاقبها الله. لماذا نضطهدها نحن بلا رحمة؟! ولكي نكون صادقين، هل تغيرتْ جوديت إلى الأسوأ منذ صارت مسيحية؟ أنا أعلم أنه على العكس، لقد صارت أفضل. إنها بالحقيقة ملاك. إننا كلنا نبغضها ونضطهدها وهي تحتمل بوداعة وتستمر تحبنا بحرارة ورِقّة."

كان هذا كثيرًا جدًا على الأم التي تفاقم غضبها وإثارتها، حتى أنها لم تستطع التحكم في نفسها أكثر من ذلك، فنظرت

بشراسة إلى الفتاة صارخة بأعلى صوتها "ماذا حدث لك؟! بالأمس سمعتُ نفس القصة من سارة والآن أنت تأتي لتعيديها كأنك موافقة عليها. هل نجحتْ هذه المُهرطقة في تضليلكم أنتم أيضًا عن الطريق الصحيح... آه لماذا... لماذا سمحتُ لها بالعودة إلى البيت؟"

"جوديت لم تضلِّلنا، ولكن منذ يومين كنا نتكلم معها، سارة وأنا، ولم نجد أي مبرر على الإطلاق أن نبغض أختنا. بل بالعكس يجب علينا أن نحبها بإخلاص لأنها تحبنا جدًا."

هتفت الأم وهي تنتحب ودموعها تجري على خديها "أوه.. أدوناي.. لقد أفسدتْ الفتاة هاتيْن الاثنتيْن أيضًا. لماذا فعلتُ هذا؟! لماذا سمحتُ لها أن تأتي إلى منزلي؟! آه يا روث، هل يمكن أن تكوني قد استمعتِ إليها؟ وهل صدّقتِ ما قالته لكِ؟ لقد فهمتُ لماذا تكلَّمتْ عنها سارة بالأمس بتلك الطريقة، ولهذا أنتم تدافعون عنها وتبررونها؟"

في تلك اللحظة دخل السيد وينبرج وألقى التحية "مساء الخير.. لماذا تتكلمون بهذا الصوت المرتفع جدًا؟" ثم التفت إلى زوجته "ما هو الموضوع يا راشيل؟ إنك تبدين منفعلة

جدًا ومهتاجة. ماذا حدث هنا؟"

خافت روث وشحب وجهُها، وارتعبتْ مما قد يؤدي إليه حديثها مع أمها، خاصة بوصول أبيها غير المُتوقع في هذه اللحظة السيئة. لقد كانت تريد أن تتناقش مع أمها ولكنها فشلت.

بعد حديث الفتاتيْن مع جوديت كانتا قد عقدتا العزم على مناقشة أمهما في أمر جوديت، ولكنهما فشلتا أن تخبرا بعضهما البعض عن ذلك، وبرغبة شديدة منهما أن تساعدا جوديت سبَّبا هذه العاصفة الهوجاء، عن غير قصد، في قلب الأم. لقد آلم روث جدًا أنه بهذا الحديث مع أمها لم تسبب إلا الأذى لجوديت، فجلستْ وقد انحنى رأسها وهي تشعر بانسحاق شديد.

أخذتْ الأم تبكي وتولول "ماذا حدث لي؟!.. إن كل بيتي يهلك.. ماذا فعلتُ أنا.. آه.. ماذا أنا فعلتْ؟!"

بدأ صبر السيد وينبرج ينفذ "حسنا.. ماذا حدث؟"

"آه يا دافيد.. إن لعنة تحوم فوق بيتنا.. فقط تأمل: هذه المرتدة انتهزت فرصة وجودها هنا لتغرس بذار الهرطقة في قلوب أخواتها؛ بالأمس سارة، واليوم روث، تحاول أن تبرِّرها أمامي. لقد اكتشفتُ أنها دبّرت أمر كلامِها معها.

لقد كنت أتمنى أن الظروف الصعبة التي مرت بها والبُعد عنا قد جعلها أكثر تعقلاً، وأن يكون عقلها قد رجع إليها فتتوب وتعترف أنها قد ضلّت السبيل. ولكن كل هذا كان باطلاً... يجب أن نعرف الآن بشكلٍ قاطع ما إذا كانت ترغب أن تتخلى عن هذه الهرطقة أم لا... أنا سأسألها."

"لقد حذرتك مُسبّقًا يا راشيل من حضورها إلى منزلنا. إنني أشتبه في كونها عضوة في الكنيسة المسيحية. لقد حاولتُ أن أعرف بعض الأخبار عنها من اليهود عندما كنت في "م"، فأخبروني أن لها نشاط كبير في الكنيسة هناك وتشترك في كل الخدمات، وأعتقد أن هذا لا يمكن إتاحته إلا للأعضاء. حسنًا.. عليك الآن أن تتحملي نتائج إرادتك العنيدة. أنتِ التي دعوتيها، وعليك الآن أن تتصرفي وتبصري كيف تصححي الأمور وتتخلصي منها. أنا تعبتُ ومرضتُ من هذا الأمر. بخصوصي أنا، فإنني أعتبرتها غريبة عني. جوديت ابنتي قد ماتت بالنسبة لي.. ماتت منذ مدة طويلة."

"دافيد.. هل يمكن أن تكون جوديت ابنتنا قد انضمت إلى المسيحيين بالتأكيد؟ هل ضاع كل شيء وضاع كل ما

رجوتُ هباءً؟"

هزّ زوجها كتفيه قائلاً "أنا لا أعرف. أنا فقط عبّرتُ عن آرائي وتخميناتي. ولكن دعينا نترك هذا الأمر الآن ونسألها عنه في وقتٍ آخر. والآن أخبريني ما الذي تلومين روث وسارة عليه؟" ثم التفت إلى سارة مستفهمًا "ماذا تقولين عن الكلام الذي قالته أمك عنك؟"

صدرت عن روث آهة، ورفعت رأسها ناظرة إلى أبيها قائلة "أنا لا أعرف ماذا أقول يا أبي، ولكنني أعرف شيئًا واحدا وهوأن جوديت لم تفسدنا... منذ يومَيْن ذهبنا إلى غرفتها، سارة وأنا، وتحدّثنا معها قليلاً، واكتشفنا أنه لا يوجد أي سبب لأن نبغضها. ولهذا فقد قرّرنا أن نتكلم مع ماما في هذا الشأن. هذا كل ما أعرفه وما أستطيع أن أقوله."

أجاب الأب موافقًا "أنت محقةّ من جانب واحد يا ابنتي. جوديت لم تضرنا في شيء نبغضها من أجله. ولكنها من الجانب الآخر أساءت كثيرًا إلى دين آبائنا وإلى أسلافنا الشرفاء الذين كانوا حَمَلة الدين الذي أعطانا إياه يهوه لقرون عديدة، وكم قدّمت عائلتنا المرموقة من محاربين شجعان من

أجل الإيمان في الأيام السالفة. والآن من سلسلة نسب هذه العائلة تأتي مرتدة ترفض الإيمان الذي من أجله كان أسلافها مستعدين أن يسفكوا آخر نقطة من دمائهم! إنها عارٌ على عائلتنا. كيف نستطيع أن نستمر في محبتنا لجوديت. إن ديننا يُطالب أنّ مثل هذه تُرجَم. إننا يجب أن نكره كل الأممين، ولكن إن أصبح واحد من أهلنا أممي فيجب لا أن نبغضه فقط بل يجب أن ننتزعه أو ننتزعها. يجب ألا تكون لنا أي علاقة بجوديت مُستقبلاً. لقد قابلتُ الرَابّي الموقر في يومٍ فائت، كان قد سمع بعودتها إلى البيت، فسألني عن معتقداتها. كان يريد أن يعرف لماذا دعوناها إلى بيتنا. فأخبرته – بالطبع – أنني لا أعرف شيئًا مُحدَّدًا عن موقفها، ولكن إذا كانت ما زالت معتنقة لتلك الهرطقة أو تحاول أن تغوي الآخرين؛ فيجب علينا في هذه الحالة طردها من بيننا بدون تردد. ويجب أن نفعل ذلك سريعًا."

ثم نظر إلى زوجته قائلاً "وبالمناسبة.. أين جوديت؟ دعيها تأتي وتعطينا إجابة واضحة في الحال."

أجابت بتهكم "أين هي؟! على الأرجح مع أصدقائها

الأعزاء الأممين، أهلها وأمّتها ليسوا شيئًا بالنسبة لها."

كانت الساعة تقارب الثانية عشرة عندما عادت جوديت من الاجتماع، حيث هناك وجدت تعزية وفرح في الشركة مع أولاد الله، وأخبرتهم عن حياتها في "م" وعن البركات التي أنعم الله بها عليها والمعونات العجيبة التي اختبرتها بعد أن غادرت "ج". أخبرتهم أيضًا عن الأخبار المفرحة أنها اعتمدت. واشتركت الكنيسة كلها في صلاة حارة أمام الرب شاكرينه على معروفه من نحو جوديت، وطالبين أن يحفظها ويرشدها في المستقبل كما فعل معها في الماضي.

كان والدا جوديت قد اتفقا ألا ينتظراها طويلا هذا المساء، على أن يطلبا منها أن تعطي توضيحًا لموقفها في الغد. وهذا عين ما فعلته. كان هذا هو آخر حديث بينها وبين والديها فهي لم ترهما فيما بعد أبدًا. ليت الرب يعطيهم مقابلة سعيدة هناك في السماء!

في ليلة الغد، أنهى السيد وينبرج أعماله مبكرًا عن المعتاد، وقصد منزله للتو. وبسرعة اجتمعت الأسرة حول مائدة العشاء. كان الجو متوترًا جدًا، ولم يبدأ أحدهم

الحديث. كان الوالدان جادين ومكتئبين، خاصة الأم التي كانت عصبية جدًا، وطوال اليوم تجنبت مقابلة جوديت. أما الفتاتان الصُغْرتان فكانتا حزينتيْن وكئيبتيْن، وموضوع فشل نواياهما الحسنة ضغط عليهما بشدة، وعلما أن وقتًا عصيبًا ينتظر جوديت بعد العشاء، عندما يُطلب منها توضيحًا وإجابة نهائية. كانوا يخشون النتائج جدًا.

أما جوديت فقد كانت تشعر بقلق بالغ منذ الصباح الباكر. كان قلبها يوجعها ويؤلمها بحزن غير مفهوم، فمع أنها لم تعرف شيئًا عما حدث في الليلة الفائتة، ولا ما هو مُعد لها في نهاية اليوم، لكنها كانت تشعر بالبؤس طوال اليوم. على مائدة العشاء كانت صامتة، وكان وجهها جامدًا، وكانت التعبيرات على وجوه الآخرين تُنْبؤها أنّ هناك أمرًا غيرُ طبيعيٍ يجري، واضطربت دقات قلبها على الرغم منها.

عندما انتهى العشاء طُلِب من الفتاتيْن أن يشغلا نفسيْهما بتنظيف االمائدة. نظر الأب بصرامة، لمدة ثوانٍ، إلى جوديت، ثم طلب منها أن تذهب مع أمها إلى حجرته. وبعدما دخلوا، أغلق الباب بحرص خلفهما، وطلب من

جوديت أن تجلس على مقعد أمام كرسيه.

بعد دقائق من الصمت المطبق، التفت إليها قائلاً في جدية "منذ مدة طويلة ونحن نحاول معك أن تعودي يا جوديت إلى إيمان آبائك ولكن بلا طائل. وكانت آخر وسيلة اتخذناها بالتحديد هي إرسالك بعيدًا عن البيت. وكانت أمك تأمل أن هذه الخطوة قد تعقّلك وتطرد أوهامك. والآن أنت قد أتيت لتزورينا بعض الوقت في بيتنا. كنا نريد أن نراك إذ لم تتحمل أمك ولا إخوتك البعد أكثر من هذا، ولم تفقد أمك الأمل أنك أخيرًا تعودين إلينا وتكونين بيننا. ولكننا في الواقع كنا نخدع أنفسنا، فبدلاً من أن تتوبي وتعترفي بذنبك، بدأتِ تؤثرين على إختيك بخبث. والآن هي آخر فرصة لك. نحن نسألك للمرة الأخيرة : *"هل تعودين إلينا وإلى إله آبائك وإلى أمّتك؟"* أو بطريقة أدق: *"هل في الإمكان عودتك؟ أم أنك قد انضممت للكنيسة حاليا؟"* أنا أعلم أنهم يعمّدون أولاً قبل أن يقبلوا أحدًا؛ هل اعتمَّدتِ؟ إننا والديْكِ، ويجب أن نعرف هذه الأمور.. يجب أن تكوني أمينة وصريحة وأن تخبرينا بالحق كله. نحن هنا الآن لنسمعك الليلة."

إلى هنا انتهى كلام والدها. أما فترة الصمت التي تلت ذلك فلا يُمكن أن تُنسى أبدًا: كانت السيدة وينبرج ترتعش من الإثارة والإنفعال، فقبضتْ على يد زوجها بشدة.

رفعت جوديت عينيها إلى أعلى، من حيث يأتي عونها في تلك اللحظة الحاسمة. وفي صلاة قصيرة صامتة رفعتْ صرختها إلى الرب، ثم أدارت وجهها بالكامل إلى وجه والديْها، وقالت بصوت رقيق، ولكنه جاد وحازم "أعود إلى إله آبائي؟.. والديّ العزيزيْن، لقد عدتُ إليه منذ زمنٍ بعيد، إنني أؤمن به وأخدمه بقدر ما أستطيع؟"

غطت وجه دافيد وينبرج غيمة سوداء من الاستياء والاستهزاء، ولكنه ظل متمسكًا بهدوئه حتى لا يقاطع ابنته.

"أما بخصوص إخوتي، فأنا لم أحاول أبدًا أن أحولّهما عن الله أو أضللهما بهرطقة. لقد أخبرتهم أن رغبة قلبي هي أن أخدم الرب كل أيام حياتي، وأخبرتهم أيضًا أنه أمرٌ صعب جدا عليَ، لا يمكنني التعبير عن صعوبته، أنه بسبب هذا أكون مُبغَضة ومُحتقَرة من أولئك الذين أُحبهم أكثر من الكل.. الكنيسة التي أنتمي إليها ليست وثنية ولا أعضاؤها

أمم كما يدعونهم، ولكنهم عُبّاد وخدّام حقيقيين ليهوة المُبارك.

بخصوص العِماد، فما أستطيع أن أقوله الآن هو أنني أرغب أن أعمل إرادته في أي مكان وفي كل شيء. وهو قال «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن»؛ ولأنني أمَته فأنا أطيعه، ولذلك فقد نفّذتُ وصيته المقدسة. أنا أؤمن أنه ابن الله ومخلّصي، ولذلك فقد اعتمدت على اسمه."

صرخت الأم صرخة مُرّة، وهي في قمة الإنفعال، تعصر يديها بشدة "آه أدوناي.. يا الله.. ما الذي كُتِب عليّ أن أسمعه من ابنتي؟ لماذا أنا ولدتِك. لماذا؟" ثم صاحت فجأة بصوت أجش "إنني سأخنقك هذه اللحظة بيديّ أنا."

وبهذه الكلمات جرت بجنون نحو جوديت، بوجهٍ شاحب قبّحه الغضب الهائل. في الحال أسرع السيد وينبرج إلى زوجته، قابضًا على كلتيْ يديها ليحول بين الأم والابنة.. فصاحت بأعلى صوتها:

"إنني ألعنك.. بلعنة الأم ألعنك، ولن أستريح حتى أراك تسقطين ميتة عند قدميّ." ثم صرخت صرخة مُرّة جلجلت السكون، وسقطت إثرها على الأرض مغشيًا عليها.

لم تدْرِ جوديت بنفسها رغم كسرة قلبها العظيمة، فألقت بنفسها نحو أمها، ولكن قبل أن تلمسها كان الأب قد منعها بخشونة وعنف. كان صوتُه خشناً مُتحشرجًا وهو يزأر مشيرًا إلى الباب "أخرجي.. إياك أن تلمسيها. ليس لك الحق على الاقتراب منها.. أخرجي.. وإياك أن تقعي تحت أنظارنا فيما بعد. ليس لك مكان في بيتنا بعد اليوم."

وبعد أن حمل السيد وينبرج زوجته ووضعها على الأريكة، اتجه إلى باب حجرته وفتحه على مصراعيه ثم أزاح ابنته بعنفٍ، وساقها خارج الغرفة، فوقفت في مكانها في ذهول وقد اتسعت عيناها من فرط الألم الرهيب.

اتجهت جوديت إلى غرفتها وهي تقريبًا في شبه غيبوبة وفي حالة من الهذيان، وارتمت على سريرها في إعياءٍ شديد. كان منظر وجه أمها المرعب يلازم مخيلتها، ولعنة أمها المُفزعة ما زالت ترن في أذنيها.

فجأة فُتِح الباب، فرفعت جوديت عينيها لترى سارة وروث على عتبة الباب. كانتا هما الاثنتان تبكيان، فقامت جوديت وجلست على حافة السرير. كانت الفتاتان مُكتئبتان جدًا.

أخيرًا تكلمت روث وهي تنتحب ودموعها تنهمر مدرارًا "لقد أرسلَنا بابا إليك لنقول لك أنك يجب أن تخرجي الآن من المنزل في الحال. إنه لا يريد أنّ ماما تراكِ مرة أخرى."

هتفتْ جوديت وهي في قمة الحيرة "أترك البيت؟.. آه.. نعم. إنني الآن ملعونة".. ثم همست لنفسها "إن أمي أنا.. أمي العزيزة قد لعنتني."

واتجهت إلى أختيها "هل أغادر في الحال؟"

تلجلجت الأختان وهما تقولان "نعم بابا طلب ذلك."

صرختْ جوديت في قلبها المعذَّب بشفتين باهتتين كشفتيْ الأموات "آه.. لا تتركني الآن يا إلهي. أعنّي يا رب؛ فأنا لا أعرف ماذا أفعل. لا بد أن أغادر الآن فإنني قد لُعنت".

ثم التفتت إلى أختيها الواقفتان بلا حراك على عتبة الباب "آه.. أنتما تنتظرانني كي أذهب؟ أليس كذلك؟.. حسنًا.. سأذهب الآن."

قامت جوديت، وارتدت ملابسها بسرعة، ومن كل حاجياتها لم تأخذ سوى كتابها المقدس من فوق المنضدة، ثم

تقدمت نحو إخوتها تقبلهما، ولكنهما تراجعتا إلى الخلف عندما اقتربت إليهما.

"آه.. لقد نسيْتُ أنني لُعِنت. أنتما لا يجب أن تمسّاني. إذًا.. وداعًا، ليت الرب يبارك بابا وماما وأنتما أيضًا."

ترنحّت جوديت وهي تتجه نحو الباب الخارجي، كما لو كانت في كابوس ثقيل، ولكن نحيب أختيها المرتفع جعلها تتوقف لتلقي عليهما نظرة أخيرة، فقد كانت آخر مرة ترى فيها وجه أختيها.

كانت ليلة باردة في بداية الربيع، وكان الثلج وقتها يبدأ في الذوبان في النهار ولكن بالليل يُغطّي الأرض، ولطم النسيم الثلجي وجه جوديت. لمدة دقائق ظلت جوديت عند الباب كما لو كان الشلل قد أصاب جسمها. أخيرًا دارت ومضت في طريقها ببطءٍ عبر الشارع. كانت الشوارع المضيئة مكتظة بالناس الذين يروحون ويجيئون ويتحدثون في مرح، وبين هؤلاء كان بعض الأصدقاء القدامى والمعارف من الشباب اليهودي. كانوا كلهم يعرفون أن جوديت في زيارة إلى أهلها، ولكنهم كانوا كلهم يحتقرونها. لم يحيها أو يكلمها

أحد منهم وهي تمرّ أمامهم الآن. كانوا يديرون رؤوسهم عنها كأنهم لم يروْنها.

بعدما عبرت شوارع المدينة المضيئة، وصلت الآن إلى المناطق الفقيرة المظلمة والمهجورة في الضواحي. فجأة، إذ لفّها سكون الليل، توقفتْ كما لو كانت تستيقظ من حلم؛ فالناس الكادحين الذين يعيشون هنا قد عادوا إلى منازلهم وقد خلدوا إلى النوم. كان الظلام موحشًا إلا من بعض الأضواء الخافتة التي تسللت من خلال بعض النوافذ القليلة. فسألت نفسها في صوتٍ خافت "ماذا حدث معي؟ إلى أين أنا ذاهبة؟" وكومضٍ سريع، تمثّل أمامها كل ما حدث في ذلك المساء "لقد أدانوني ولعنوني وطردوني خارجًا."

رفعت جوديت عينيها المليئتان بالدموع إلى السماء المكتظة بالنجوم اللامعة المضيئة "أنت يا رب تراني من عرشك في السماوات. أمسك يدي، أنا ابنتك الضعيفة المتروكة، وأعنّي في هذه اللحظات السوداء. أنت تعلم أنني وحيدة تمامًا في هذا العالم، ولكن امْكث أنت معي."

هذه الشركة القصيرة مع الله، تحت قبة السماء المزدانة

بالنجوم، كان لها تأثير مُهدّئ على جوديت، حتى استطاعت الآن أن تفكر بهدوء.

"إنه الآن ليلٌ، ولن يتوفر لي قطار حتى صباح الغد، بالإضافة أنه ليس لديّ مالٌ ولا حتى أي شيء. كلُ شيء أملكه هو هناك في البيت الذي طُردتُ منه، ولا يمكنني العودة إليه ثانيةً. أفضل شيء أعمله في ظل الظروف الحاضرة هو أن أذهب إلى بيت الراعي. الرب لن يتركني. إنه سوف يرشدني إلى الخطوة التالية." وهكذا اتخذت جوديت قرارها.

عندما قرعتْ الباب، فتح لها الراعي نفسه، وكم كانت دهشته عظيمة أن يرى جوديت أمامه في ذلك الوقت المتأخر من الليل. وبدون أن تستأذن، أو تنطق بأي كلمة، دخلت في صمت، وارتمت على أقرب كرسي بجانب الباب، مُنهارة تحت ثقل المعركة الرهيب التي كانت تصارع قلبها في الساعات الأخيرة. كانت جوديت دائمًا حريصة ألا يرى أحد دموعها التي كانت تذرفها تحت وطأة الآلام والاضطهادات التي تعانيها، أما اليوم فالحزنُ كان هائلاً جدًا فلم تستطع أن

تستره، أو حتى أن تحتمله وحدها، فأخذت تنتحب، بينما كل جسدها يهتز اهتزازات تشنجيّة لا إرادية.

ظل الراعي وزوجته وابنته، لمدة طويلة، ينظرون في صمت بعيون دامعة شاعرين بالتأثر الشديد من أجل الفتاة المكسورة القلب أمامهم. كانوا متأكدين تمامًا أنه لا بد أنّ شيئًا خطيرًا قد حدث لها، فهم يعلمون كم تحمَّلتْ من آلام واضطهادات سابقة بكل شجاعة. لم يَرها أحدٌ قبلاً باكية أو شاكية، ولذا فقد أفهمهم ظهورُها غير المتوقع في وقتٍ متأخر من الليل أنّ أمرًا خطيرًا قد حدث.

بعد أن انتهت النوْبة الأولى من حالة الانهيار، وبدأت جوديت تستعيد هدوءها، شعرت بذراعين تطوّقان عنقها، فرفعت عينيها الثقيلتيْن المغمورتيْن بالدموع لترى إليزابيث، زميلة الدراسة، بجانبها. لقد كانت هي الفتاة التي رأت فيها جوديت، لأول مرة، نور حق الإنجيل. كانت إليزابيث تنظر إليها بعينيها الجميلتيْن الزرقاوين اللتيْن تشعان عطفا وحبًا والمغمورتين بدموع التعاطف، وقالت لها برقة وهي تقبّلها "ليملأ السلام قلبك يا عزيزتي جوديت."

وظلت الفتاتان، اللتان ارتبط قلباهما بواسطة عمل المسيح الفدائي، لدقائق محتضنتان بعضهما بعضًا.

بعد أن تمالكت جوديت نفسها، واستردت هدوءها نوعًا ما، أخبرت أصدقاءها عما حدث معها في الساعات الأخيرة.

تناول خادم الرب كتابه المقدس من على المنضدة، وبدأ يقرأ منه عن آلام وموت الرب يسوع. ثم نظر إلى جوديت قائلاً: "أختي العزيزة..أنظري كم تألم الخالق من خليقته، وكيف عندما صُلب بواسطة صنعة يديه قال «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». نحن تلاميذه ويجب علينا أن نسير في ذات الخطوات نحو ذلك الهدف العظيم. وفي هذا الطريق، علينا أن نعبر في جسثيماني والجلجثة. اليوم وصلتِ أنت إلى جسثيماني، ونفسك حزينة حتى الموت، ولكن لا تخافي هو سيقويكِ وسيرفعك. ربما أيضًا عليك أن تعبري الجلجثة في المستقبل. هو سيكون معك هناك ساعتها. هو لا يمكن أن يترك خاصته، وهو قد مشى هذا الطريق قبلنا؛ فليتنا لا نحوّل عيوننا عنه، ذاك الذي اجتاز الطريق قبلنا، والذي أحبنا حتى الموت، موت الصليب. ونحن سنتبع آثاره النبيلة المقدسة في

هذه الساعة. ليت الحزنُ لا يغلبنا فننام وتُثقل عيوننا، كما نام التلاميذ في جثيماني، لأن عيونهم كانت ثقيلة من الحزن. دعونا نصلي ونثق أن الله سيكون معنا وسيعيننا لنحتمل كل ما نجتازه منتصرين."

وهكذا، صعدت إلى الله صلوات حارة إلى عرش النعمة، من قلوب ضُغطت تحت ثقل الألم، مما جعل جوديت تتشجع جدًا، وتشعر براحة كبيرة بسبب مشاعر الحب ومشاركة القديسين، فرَسَم السلام طابعه على ملامح وجهها الجذابة، الذي بدا متغيرًا هادئًا بسبب حضور الرب في المشهد.

زوّد المؤمنون جوديت بكل ما تحتاجه من مال أو احتياجات أساسية للرحلة، وهكذا استقلت القطار المتجه إلى "م" تصحبها كل التشجيعات والتمنيات الطيبة. تركت "ج" إلى الأبد، فقد كان ذلك الصباح هو آخر صباح لها في تلك المدينة. أسرع بها القطار من المدينة تاركة خلفها والديها وأختيها وسولومون وكل جماعة المؤمنين الذين عرفتهم، ولم ترهم أبدًا بعد ذلك. نعم تركت المكان الذي فيه تعرفت أولاً على الرب ووهبته قلبها الغضّ، وفيه اجتازت أصعب اختبار

في حياتها وظلت أمينة ومخلصة لإلهها. بالحقيقة كانت هــذه المدينة لها جسثيماني حيث خرجت منه منتصرة.

للمرة الثانية تكرر مشهد محطة القطار أمام عينيها. كثيــرٌ من الأصدقاء المؤمنين كانوا هناك في توديعها، وتأثرت جــدًا عندما رأت دموع المحبة والمشاركة تعبِّر عن مشاعر غاليــة. وما زالت تسمعهم يقولون "مع السلامة يا عزيزتنا جوديــت.. مع السلامة يا أختنا الغالية في الرب. تُرى هل سنراك مــرة أخرى هنا على الأرض؟ أم سنراك هناك في البيت الأبــدي عندما نكون كل حين مع الرب؟"

٥

التكريس للرب

مقابلة الإرسالية - القرار بالتكريس للخدمة
الخدمة ومتاعبها - المرض

كانت هناك نهضة تبشيرية كبيرة في مدينة "م". كان قد مضى أسبوع كامل منذ حضر أحد المبشرين من منطقة أخرى في روسيا، وبواسطة رسالته القوية المؤثِّرة لمس الروح القدس أقسى القلوب وأعتاها لتستيقظ وتطلب الرب وتنتقل إلى حياة جديدة في المسيح يسوع. كثيرون تابوا ورجعوا إلى الرب، ووجدوا غفرانًا وسلامًا، وأيضًا

كثيرٌ من المؤمنين زاد حماسُهم وزادت غيرتهم في خدمة الرب، راغبين أن يستخدمهم الرب في الذهاب وراء النفوس الضالة التي ما زالت في خطاياها وموتها وبُعدها عن الراعي الصالح، وأشواقهم أن يعودوا بها إلى الحظيرة بل إلى راعي نفوسهم وأسقفها. تلك الأيام كانت أيام نهوض روحي رائع.

وفي اليوم الأخير قبل رحيله، كانت رسالته موجَّهة إلى المؤمنين صرفاً. وفي نهاية الخدمة قال "إرفعوا عيونكم وانظروا حولكم. لسنين عديدة تشبّعت أرض بلادنا بدم إخوتنا، وكل يوم يمر يحمل آلاف النفوس غير المُخلّصة إلى القبور وهم غير مؤمنين وإلى الهلاك الأبدي. إن بلدنا الآن كبركان منفجر، أو كبحرٍ ثائر تهيج أمواجه وتطمو، كنمرٍ جائع ولا مَن يهدؤها. أنظروا حولكم، جماهير الملاحين الذين تُهلكهم أمواج البحر الهائج. إستمعوا إلى صرخات اليائسين طالبين الإنقاذ تتردد في آذاننا من بحر الإنسانية. إن الصرخة المعروفة (*sos:save our souls*– أنقذوا أرواحنا) تأتي إلينا من كل مدينة، من كل قرية، ومن كل بيت؛ من شواطئ البحر

القطبي إلى القوقاز الملتهب... من يمد يد الأُخوّة إلى النفوس الهالكة؟ من يسمع الصرخات ويستجيب لندائها؟ ألا يوجد هناك أحد؟ إنه يبدو اليوم أن يد كل إنسانٍ على أخيه، ولكن ألا ينبغي أننا نحن المؤمنين نتبع آثار خطوات ربنا وسيدنا. ألا ينبغي لنا أن ننسى أنفسنا ونغوص في بحر الإنسانية المعذب بالصراع والانتقام، لنخلّص النفوس الخالدة من قبضة الخطية والشيطان، حتى ولو كلفتنا حياتنا؟

إن حياة ربنا ومخلِّصنا كانت أغلى حياة، ليس فقط على الأرض وإنما في كل الوجود، وقد بذلها من أجل خلاصنا، أفهل نظن نحن أن حياتنا أغلى من أن نقدّمها؟ ألا نقدِّمها برضائنا من أجل خلاص الآخرين؟ صحيح أن المتقدّمين بينكم في الأيام لا يستطيعون أن يذهبوا خارجًا ليسدّوا احتياجات الآخرين، أو يساعدوا الذين في ضيقة أو أصحاب العائلات الفقيرة، ولكن واجب هؤلاء أن يؤازروا بالصلاة، ويحرصوا على تنشئة أبنائهم في التقوى ومخافة الرب، ويعملوا على إعالتهم يوميًا. ولكن ماذا عنكم إخوتي الشباب وأخواتي؟! أنتم شباب ومملؤون نشاطًا

وحيوية. لا يوجد عائق في طريقكم. أنتم أحرارٌ من قيود المسؤوليات، والنفوس من حولكم تهلك ذاهبة إلى الدينونة الأبدية.. الرب ينادي: «*من يذهب..من أرسل؟*»

اليوم يكلّمكم الرب بواسطتي. من منكم يريد أن ينضم إلينا، لفريق صغير يذهب من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية ومن بيت إلى بيت يبشر بالإنجيل ويبحث عن الضالين؟ بالطبع هذا العمل ليس للجبناء أو ضعاف القلب. إنه يتطلب شجاعة وتحمُّل؛ لأننا نقابل في طريقنا آلاما، وجوعًا، وإرهاقًا من المسافات الطويلة على الأقدام، واضطهادات وربما موتًا. ولأنني قابلت أنا نفسي أتعابًا كثيرة، فأنا أعرف ماذا تعني أتعاب الطريق، ولذلك أنا أنصح كل من يريد أن يذهب إلى هذا الحقل أن يعطي الأمر أولاً تقديرًا شديدًا، وأيضًا اهتمامًا كبيرًا للصلاة. لا تبدأ ثم تتراجع بعد أول محاولة، لكن الرب له كلمة لكل شخص قوي القلب والعزيمة: «*كن أمينًا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة*»

والآن..من يريد؟ من سيذهب؟"

تردَّد هذا النداء الأخير بين صفوف المقاعد المزدحمة، إلى أن انتهى صداه وأطبق الصمت على القاعة. وأخذ المبشر يراقب المستمعين مصليًا. كان كثيرون من الموجودين مؤمنين، والعديد منهم كانوا أعضاء نشيطين بالكنيسة ولهم أشواق أن يمجدوا السيد، ولكن أن يستجيبوا لطلب مثل هذا بدا صعبًا جدًا عليهم. كانت نيران الحرب الأهلية المخيفة تحتدم لسنوات في بلدهم. وكان الجوع متفشيًا في أماكن كثيرة، وتعدَّدت الأوبئة المختلفة كنتيجة طبيعية للحرب والجوع، وحصدت آلاف الأرواح؛ وهكذا أصبحت حياة وممتلكات الناس غير مضمونة بسبب الفقر وبسبب اعتداءات الجنود. لم يكن أحد يشعر بالاطمئنان حتى في بيته. والتجوّل من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية للتبشير بالإنجيل كان أمرًا في غاية الخطورة، وحتى خدام الرب المكرسين والمنكرين لذواتهم أدركوا جيدًا هذا الأمر.

جاء صوت منخفض ولكنه غير متقلقل من أحد المقاعد الخلفية "أنا على استعداد أن أستجيب لدعوة الله لي."

في الحال استدار الجميع يتلفتون حولهم، باحثين عن

الشخص الذي استجاب لتلك الاستغاثة. كانت فتاة صغيرة السن، ضعيفة الجسم، ذات عينين واسعتين جميلتين.

"إنني أكرِّس نفسي بالتمام له، حتى وإن كنت غير قوية ولا أصلح لعملٍ كهذا، لكنني أثق أنه يستطيع أن يعمل بواسطتي. أنا ليس لديّ خبرة في عمل الرب، ولكنني أحبه وأحب الذين مات من أجلهم"

همس جميع الحاضرين: "جوديت".. نعم لقد كانت هي جوديت.

عند عودة جوديت إلى "م" بعد الفراق الأليم مع والديها وبيتها، استمرت تعمل من أجل كسب عيشها، ولكن كلما توفَّرت ولو دقيقة واحدة، كانت تستغلها في خدماتها الحُبيّة. كانت سعادتها العُظمى هي أن تزور المرضى وتعتني بهم. كم طيّبتْ قلوب المحزونين وأعانتْ المُحتاجين حولها. في أيام الآحاد وفي الأعياد كانت تذهب، كما كانت تفعل من قَبْل، إلى القرى القريبة حيث كانت تشرح لهم قصة الخلاص الجميلة والبسيطة، وتساعدهم روحيًا وجسديًا، فتنشر من حولهم الفرح والنور.

ومع أن هذه كانت خدمة مباركة، إلا أن جوديت كانت دائمًا تتوق إلى إمكانية وجود خدمة أكبر بطول الوقت. وبعد أن عرفت الروس الريفيين البسطاء وغير المتعلمين، المدعو عليهم اسم المسيح ولكنهم يعرفون القليل جدًا عن المخلِّص المبارك، بدأت تعطف عليهم وتحتضنهم بحبٍ شديد من قلبها. وقد سيطرت عليها مرات عديدة فكرة التخلي عن العمل الذي يحدّ من خدمتها، وأن تعتمد على الرب في تسديد احتياجاتها، وتذهب لتعيش مع هؤلاء الناس وتقودهم إلى الرب. ولكنها استبعدت هذه الفكرة لأنها لم تكن واثقة أن هذه هي إرادة الرب، أو أنه يوافق على هذه الخدمة. أما الآن، وقد سمعتْ هذا الرجل يتوسل من أجل عاملين في كرم الرب، فقد تأكدت أنه قد حان الوقت لتتحقيق رغبة قلبها.

حضرتْ جوديت كل اجتماعات المبشّر كخادمة أمينة معه، فكانت تصلّي من أجلِه أثناء تقديم الخدمة، وبعج الاجتماعات كانت دائمًا منشغلة بالحديث والصلاة مع النفوس التي تطلب الرب. كانت خدماته الملتهبة تشعل في قلبِها محبة حارة للنفوس الضائعة وحماسة أكبر للعمل في كرم

الرب. لم تتردد دقيقة واحدةً عندما سمعتْ عن احتياج للعاملين في خدمة الرب. كان هناك دائمًا صوتٌ مشجّعٌ يقول لها "الآن هو الوقت.. هذه هي طريقك يا جوديت.. الآن ستتحقق أشواق قلبك." لذلك فقد وقفت وقالت: "أنا مستعدة". بالحقيقة كان الله قد أعد الآنية التي سيستخدمها لمجده وكرامته.

بعد انتهاء الفرصة التبشيرية، بدأت تسأل المبشر عن التفاصيل؛ فأعطاها العنوان والوقت الذي فيه تنضم إلى باقي الإرساليات. وهكذا كانت جوديت سعيدة ومقتنعة تمامًا أن الله قد أرشدها وقادها قيادة عجيبة. هي لم تَسِر بلا هدي أو بدون رؤية. كانت تعرف أن الطريق التي اختارتها لم تكن سهلة، فهي قد تعني صعوبات وآلام وإنكار للذات؛ ولكن هذا كله لم يسبب لها أي خوف، بل لقد شعرت في قلبها عميقًا بسلام وفرحٍ يفوقان الوصف. كان التأكيد القوي والمبارك أن الربَّ سائرٌ معها غاليًا جدًا على قلبها. كانت تلك هي طريقه وكانت هي راضية تمامًا أن تتبع خطواته.

وجاء يوم رحيلها، وذهب كثيرون من أصدقائها المؤمنين

إلى محطة القطار ليودعونها، وسألتها واحدة من الفتيات كانت قد خدمت مع جوديت أكثر من الآخرين "عزيزتي جوديت هل ستتركينا لمدة طويلة؟ كم من الوقت ستصرفينه مع الإرسالية؟"

أجابت جوديت وهي تنظر إلى بعيد "أعتقد يا عزيزتي "جين" أنني كرّستُ حياتي بطول الوقت للرب ولخدمته.. على الأقل هذه هي رغبتي."

كان العمل الذي انخرطتْ فيه جوديت صعبًا بالحق، فلم يكن تحذير المبشر مجرد تهويل للحقيقة. كان كل يوم يحمل تجاربًا وآلامًا، وأحيانًا كانت الصعاب أكبر مما تتوقع. كانت تلك الحياة صعبة، بالأخص بالنسبة لجوديت، فمن ناحية لم تكن بالقوة الكافية صحيًا، ومن ناحية أخرى لم تكن قد تعودتْ على مثل هذه الضغوط لأنها قضت حياتها مُحاطة بعناية مستمرة من والديْن محبيْن يوفران لها كل أسباب الرفاهية. لذلك فقد كان المحيطون بها عادة يظنون أنها ستُجبَر يوما ما على التخلّي عن خدمتها تحت هذه الظروف، ولكن حبها الشديد للنفوس المتألمه وتعاطفها الكبير معهم كان

يمنحها قوة جديدة في كل يومٍ جديد. وإذ لم تكن فيها قوة في نفسها، فقد ارتمتْ بالتمام على الرب القادر أن يقوّيها ويمنحها كل ما تحتاجه دقيقة بدقيقة.

كان بحر البؤس والضيق على كل جانب يتطلب مزيدًا من العمل الدؤوب ومزيدًا من إنكار النفس. كان هناك جوعٌ روحي شديد وواضح في كل مكان؛ فكان الرجال والنساء، وحتى الأطفال، قد أنهكهم الصراع وأتعبتهم الحروب، بالإضافة إلى الخوف كل يوم من الموت. كانوا مشتاقين وعطشى إلى الراحة والسلام في المسيح. كثيرون كانوا يقبلون الإنجيل المُبَشّر به لهم باشتياقٍ شديد وشعورٍ بالعرفان بجميل الرب وفضله.

في كل مكان تذهب إليه الإرسالية ببشارة الإنجيل المفرحة، كانت النفوس المسكينة المنهارة تحت ثقل الخطية تلتجئ إلى الرب لتجد غفرانًا وسلامًا وحياةً أبدية.

بالإضافة إلى الجوع الروحي الذي كانت تقابله الإرسالية في كل مكان، كان هناك أيضًا سوء الأحوال الصحية والأمراض الكثيرة. هؤلاء المساكين كانوا متروكين بلا

رعاية صحية أو طبية (الأطباء والصيادلة هربوا لحياتهم من تلك الأماكن) فكانوا يموتون بالعشرات وأحيانًا عائلات بأكملها. في بعض الأحيان كانوا يموتون واحدًا بعد الآخر في بيت واحد، وتمر أسابيع قبل أن يدخل أحدٌ البيت ويكتشف الأمر.

أعطت جوديت حياتها – هي وآخرون– لخدمة هؤلاء المتألمين، بقلب كامل، ولم تضن بصحتها ولا بقوتها في سبيل أن تجعل حياتهم أقل صعوبة. هكذا كانت تقضي جوديت حياتها يومًا بعد الآخر. لقد أعطاها الرب هذا الحقل نصيبًا لخدمتها، فقامت به بكل سرور وشكر وعرفانٍ للسيد.

كان ذلك الصيف حارًا للغاية. كان الجو ساخنًا كما لو كان مُحمّى في أتون، حتى كان التنفس الطبيعي أمرًا صعبًا. كان الغبار الثقيل يلاطم الأكواخ الصغيرة الممتلئة بالمرضى في تلك القرى، ولم يكن هناك إمكان للهروب من ذلك الغبار.

منذ عدة أيام خلت، حضرت مجموعة من الغرباء إلى قرية في غرب روسيا، حيث أقاموا في منزل في أحد ضواحيها. ولحسن الحظ، كان ذلك المنزل في وسط بستان

فاكهة. ثلاثة من هؤلاء الغرباء أصيبوا بالتيفوس، وكانت حالتهم خطيرة، فكانوا أقرب إلى الموت منهم إلى الحياة، والاثنان الآخرون تناوبوا على خدمتهم ليلاً ونهارًا.

كانت ليلة صيف حارة جدًا، وكان الجو ساخنًا جدًا وخانقًا، وكان الأمر صعبًا للغاية بالنسبة للمرضى، فقد كان التنفس شاقًا جدًا ومؤلمًا. فُتحت جميع النوافذ تمامًا، ولكن لم يكن للنسيم طريقًا إليها.

على السرير الوحيد بالقرب من النافذة التي تطل على البستان، كانت تنام فتاة هزيلة. كانت تهذي لمدة ساعات. وبجوار المنضدة القريبة جلس الجد "آسين" – هكذا كانت المجموعة تدعو القائد الذي تعمل معه – كان يراقب باهتمام شديد المريضة التي أمامه والتي تشير بيدها النحيلة البيضاء وتتكلم بسرعةٍ كبيرة، وإذ بدا له أنها تناديه بقولها "جدي" مال إليها آسين راغبًا أن يفهم كلامها، ولكنه إذ فشل هزّ رأسه أسفًا لأنه لم يستطع أن يفهم ما تقوله، فقد كانت تتكلم باللغة العبرية القديمة.

فجأة استردت وعيها، فمدت يدها الضعيفة المرتعشة إلى

صديقها تسأله "ألم تفهم كلامي يا جدي؟ لقد ظننتك فهمت كل ما قلته."

أخذ صديقها يدها في يده، وأخذ يجس نبضها وهو يقول "لا. لم أفهم ما تقولين. من كان معك يا جوديت؟ من أقلقك هكذا؟ لقد تكلمت لمدة ساعتين وكنت منفعلة طوال الوقت."

"آه لقد رأيت رؤية رائعة يا جدي.. لقد كنت أنت وأنا في هيكل رائع بهي في مكانٍ ما، وكان ممتلئًا بالتمام باليهود، وكان هناك رئيس الكهنة أيضًا بملابسه الفخمة الكهنوتية. في وسط الهيكل كان هناك رجل يأتزر بإزارٍ بسيط، وكانت عيناه نحو الجزء الشرقي من المبنى ومستقرتان على جموع الشعب. لم أستطع أن أرفع عينيّ عنه. لسبب ما شعرتُ أنّ هذا هو الرب يسوع المسيح، مسيا اليهود الذي جاء الآن إلى شعبه، وأنتَ أيضًا قلتَ لي إنه هو.. فقررتُ ساعتها أن أشهد عنه أمام الجموع وأخبرُهم أنه خلصّني من خطاياي، وأنه مستعد وقادر أيضًا أن يخلِّص كل الناس. ثم بدأتُ أخبرهم عما فعله الرب معي. أما هو فقد ظل طوال الوقت

في مكانه، فأشرت إليه وقلت لهم إنه موجود في وسطنا. ولكن كان من الواضح أنهم لسبب ما لم يروْنه، ومع ذلك فكثيرون من الذين سمعوا كلامي بدأوا يصرخون ويقرعون صدورهم، وكثيرون أيضًا رفعوا أيديهم، بما فيهم رئيس الكهنة، صارخين وطالبين الغفران باكين ومولولين. وكم كنت أنا سعيدة جدًا بتوبتهم. واضطررت أن أرفع صوتي عاليًا حتى يسمعونني بالرغم من صياحهم وهياجهم، وكان هذا صعبًا جدًا عليّ. وهل تعلم يا جدي.. إنني أشعر أنني بحالة جيدة جدًا الآن. أشعر أن جسمي أصبح خفيفًا ومرتاحًا كما لو كنت لم أمرض على الإطلاق. الرب الذي رأيته لا بد أن يكون قد شفاني. آه، كم كانت لحظة سعيدة ومباركة حين رأيتُ أمّتي تعود وتتوب أمام يهوه.. إنني أتمنى أن أرى الرؤيا مرة أخرى. أنا أؤمن أن مخلِّصنا المبارك سيعود مرة أخرى ليجمع شعبه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمّة. ربما قصَدَ الله أن يريني الهيكل العظيم الذي سيُقام في المستقبل القريب."

ظل صديقُها يستمع إليها صامتًا طوال الوقت، وكان

التغيير المفاجئ في صحتها، وهي التي كانت تصارع الموت لعدة أيام، محيرًا له جدًا؛ فقد كانت تحكي اختبارها بوعي كامل وتتكلم بطريقة صحيحة وصوت قوي، وكانت تنظر إليه بعينين يشع منهما الفرح والانتعاش، حتى الحرارة والنبض كانا طبيعيين.

بعد صمتٍ قصير تكلم إليها "نعم يا جوديت.. إن الرب سيأتي قريبًا لكل العالم، ولكنه الآن – كما أرى – قد جاء إليك أنت خصيصًا في هذه الساعة،.لقد لمس جسدك المريض وشفاك. الشكر والمجد لله. دعينا نحمده من أجل إحساناته ومراحمه ومعونته العجيبة من نحونا".

وهنا، انحنى خادم الرب بجوار سريرها، وسكب قلبه في شكر عميق لله من أجل فضله وإحسانه الغامر من نحوهما.

قام خادم الرب وزميل الخدمة على قدميه، فقالت له جوديت "أنا أستطيع العودة إلى العمل قريبًا.. ألستُ قادرة؟"

"بالتأكيد.. بمجرد أن يعيد الرب إليك صحتك ستستخدمينها مُجدَّدًا لمجد السيد، وسنكون سعداء أن نعمل معًا مرة أخرى. أما الآن، ففي اعتقادي أنّ أفضل شيء هو

أن يعطيكِ الله نومًا هادئًا مريحًا. يجب أن نتوقف عن الكلام الآن وأن تحاولي النوم.

من تلك اللحظة بدأت صحة جوديت تتحسن، وهكذا كان واضحًا أن الرب يريد أن تظل خادمته على الأرض فترة أطول؛ إذ لم يكن وقتها لتبقى معه إلى الأبد قد حان بعد. كان لم يزل هناك عملٌ لها لتعمل، يتمجد به من خلالها. كانت هناك نفوس ما زالت منتظرة أن تأتي إلى الرب عن طريقها. وقد أظهر الرب غنى نعمته وقوته بإعادة الصحة والعافية إلى جوديت، حيث لم يكن هناك في بداية المرض أي بادرة أمل في الشفاء.

كانت فترة ما قبل المرض مُجهِدة جدًا لجوديت ولرفقائها، إذ لم يكن العمل يتوقف تقريبًا، خاصة السير لمسافات طويلة من قرية إلى قرية، حوالي من ثلاثين إلى خمسين كيلومترًا، وأحيانًا بدون طعام طوال اليوم، وليس نادرًا ما تكون تحت سيل الأمطار وأحيانًا أخرى تحت حرارة شمس الصيف الملتهبة. بالإضافة إلى ذلك، كان على كل شخص أن يحمل حملاً ثقيلاً من الكتب المقدسة والكتب الأخرى. هذا غير

الاحتياجات الشخصية من الملابس وغيرها. وكان الطعام بسيطًا وقليلا جدًا في ذلك الوقت.

إلى جانب كل هذا، كانت هناك الاضطهادات من أعداء إنجيل المسيح الذين كانوا يخترعون كل أنواع الشرور ليؤذوا المرسلين؛ فكانوا أينما، وحيثما، سنحت الفرصة يضايقونهم ويزعجونهم، وكثيرًا ما يقبضون عليهم بخلاف القانون. أحيانًا كانت تقتحم الاجتماعات جماعاتٌ كاملة من هؤلاء المعادين الهائجين، مستعدين أن يفتكوا بالمرسلين فتكًا ويمزقونهم إربًا إربًا، كما تمزق الذئاب الخراف. وكان من الممكن أن ينفّذوا رغبتهم لولا تدخل الرب بالحفظ والعناية بطرق عجيبة.

قبل مرض جوديت بمدة قصيرة، كانت كعادتها تزور المرضى. وذات يوم، كانت تزور أحد البيوت في طرف القرية، حيث وجدت أطفالاً قد اشتدّ بهم المرض، والوالدان كانا قد ماتا بنفس المرض. كان الأطفال جميعًا في غيبوبة. كانوا يرقدون على الأرض الطينية فوق كوْمة من القش القذر في أحد أركان الغرفة. لم تكن عليهم ملابس في الواقع، وإنما

كانت بعض الأقمشة البالية تغطي بعض أجزاء من أجسامهم. كانت الحشرات تغطي كل شيء، ولم يكن هناك من يعتني بهم. كانوا متروكين ليموتوا بطيئًا ولكن أكيدًا.

أن تغضّ الطرف عن هؤلاء الأطفال البؤساء المساكين كان أمرًا مستحيلاً بالنسبة لجوديت والعاملين معها. ومع أن جوديت كانت تشعر أنها ليست على ما يُرام مؤخرًا، إلا أنها لم تتوانَ هي والآخرون في إنقاذ حياة هؤلاء الأطفال من الموت ما أمكنهم.

بعد مجهودٍ مُضني وطويل من التنظيف والاغتسال والتطهير، وجد الأطفال أنفسهم علي أسرّة نظيفة يرتدون ملابس بسيطة ولكنها نظيفة. وبعد أيام قليلة من الرعاية والعناية الحُبّيّة، بدأ الأطفال المرضى يشعرون بتحسن كبير جدًا، وكانوا في طريق الشفاء الكامل. غير أن جوديت كانت قد أُرهِقتْ إلى حدٍ كبير، وانهارت صحتها؛ فأُصيبت بنفس مرض الأطفال، وهو التيفوس، ولم تستطع مقاومته. ولمدة أسابيع، مكثتْ في سرير المرض، ما بين الحياة والموت، حتى تدخل الآب السماوي المُحبْ وشفي ابنته الخادمة الأمينة.

طوال فترة خدمتها المُضنية، كما في طوال فترة مرضها، لم تنس أبدًا جوديت والديها الأعزاء وأختيها. هي لم تسمع منهم أبدًا بعد الليلة التي فيها طرَدَها والدها من البيت، وكل خطاباتها ظلت بلا رد. كان هذا هو أصعب اختبار لإيمانها. كثيرًا ما كانت تنعزل بنفسه،ا وتذهب إلى مكانٍ هادئ، حيث تبكي بمرارة، وتحاجج الرب بصراعٍ شديد من أجل خلاص والديها وأختيها. أحيانا كانت تشعر أن حِمْلها ثقيل جدًا أكثر مما تحتمل، خاصةً عندما تذكر كيف أن أمها الغالية قد طردتها بتلك اللعنة الشنيعة على شفتيها. وكانت فكرة أن أمها قد تموت فجأة دون أن تتصالح معها، سبب عذاب فظيع لها. والأكثر من هذا أنها لم تستطع أن تصدّق أنّ أمها قد تموت ثم تمضي إلى عذابٍ أبدي. في تلك اللحظات، كانت تعتريها رغبة لا تُقاوَم أن تذهب إلى بيتها وتتوسل إلى أمها أن تتصالح مع الله بواسطة الرب يسوع المسيح. ولكن استحالة هذا الأمر كان يُجبرها على التخلّي عنه. كان عدم استطاعتها أن تعمل أي شيء من أجل والديها وإخوتها يدفعها دائمًا للجوء إلى الرب كثيرًا تحاججه بلجاجة شديدة في الصلاة من أجلهم

الآن، وقد ولّى المرض الذي استبعد جوديت عن الخدمة لمدة أسابيع، وعادت الآن إليها عافيتها، فقد عادت بقوة تتفانى في الخدمة المباركة لنشر الإنجيل بين أولئك الذين لم يعرفوا بركة السعادة في حياة مُقدسة وشركة مع الرب يسوع المسيح.

في ورقة قُطِعت من مذكّراتها، ووُجدت صدفة بعد انطلاقها، تخبرنا قليلا عن تلك الفترة:

"الإثنين –أول سبتمبر– ١٩١٩ "ب"

الشكر لله لأنه أعاد إليّ عافيتي مرة أخرى، وأستطيع على الأقل أن أفعل شيئًا من أجل الرب. يوم الجمعه كنا في قرية "ج". يوم السبت كنا في "هـ". يوم الأحد عبدنا مع الإخوة الروس، وبعد الظهر كنا في الكنيسة الألمانية. ثم بعد ذلك حضرنا الاجتماع الروسي، وبعدها حضرنا اجتماع رابطة السيدات. ومتأخرًا بالليل حضرنا الخدمة المسائية. هناك سبّحنا كثيرًا وشهدنا عن الرب وصلينا مع الحاضرين. وقد تمجّد أبونا السماوي وباركنا بغنى."

* * *

كثيرًا ما كان الفلاحون الذين يحيطون بجوديت، أو المريضات اللاتي تزورهن وسمعوا صلاتها الحارة وشهادتها الصادقة عن الرب، يسألونها كيف أنها وهي اليهودية تبشّر بالمسيح، والمعروف أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح وما زالوا حتى يومنا هذا لا يعترفون به.

كانت جوديت، في هذه الأحوال، تشرح لهم في وداعة وبساطة محببة، كيف وجَدتْ المخلِّص وكيف سلمّته حياتها وكرّستها بالكليّة له ولخدمته، لأن رغبة قلبها الوحيدة هي أن تعيش بالكامل له.

وبينما كانت تتكلم معهم ذات يوم عن صديق الخطاة الذي بذل نفسه لكي يخلصهم، قاطعتها واحدة منهن كانت تستمع باهتمام ودموعها تجري على خدّها المجعّد "ولكنك ما زلت صغيرة وحلوة ورقيقة. بالنسبة لنا نحن كبار السن فهذا هو الوقت المناسب لنفكر في الله، أما أنت فصغيرة جدًا. بينما كنت هنا أجلس، كنتُ أتأملك طوال الوقت. كنت أفكر.. كم أنك فتاة جميلة ولا يسعني إلا أن أقول أنك بالحق تختلفين عن كل الناس."

نظرتْ جوديت إلى السيدة الفاضلة بعينين متألقتيْن تسألها "لماذا يا جدتي أختلف أنا عن الآخرين؟"

"لماذا يا عزيزتي؟ حسنًا، الآخرون في مثل عُمرك لا يهتمون، ولا حتي يفكرون في الله. كلهم يقضون أوقاتًا ممتعة ويبحثون عن خاطبين أومحبين لهم. أما أنت.. أنت تحملين حقيبة الظَهر على كتفك النحيف وتجولين من مكانٍ إلى آخر لكي تخبرينا عن الله ربنا، تعالجين المرضي وتساعدين المساكين، ولا تأخذين أجرة من أي شخص على تعبك. آه لو فقط أرسلَ لنا إلهُنا الرحيم – نحن غير المتعلمين والفقراء – أشخاصًا كثيرين مثلك محسنين وفاضلين."

استمعتْ جوديت إلى هذه الكلمات الصاعدة من أعماق قلب هذه السيدة، ولم تستطع أن تمنع دموع التأثر.

بعد صمتٍ قصير قالت "نعم يا جدتي، فأنا أيضًا كنت مثل الآخرين منذ مدة خلت، وكان لديّ كل ما أحتاجه لحياتي بغنى، وكنت أيضًا أحب أن أقضي أوقاتًا سعيدة هانئة، ومرتبطة بشاب غني أنيق وطيّب، وكنت أحب المسرّات وأسعدتُ نفسي بالتسليات مثل الآخرين. ولكن في يومٍ من الأيام، سمعتُ عن

ربّي ومخلّصي؛ فتركت حياتي السابقة في الخطيـــة، وتركـــت أيضًا خطيبي وأصبحتُ عروسًا للرب يسوع المسيح.

لقد أعطيته قلبي وكلَ حياتي. لقد علّمنـــي أن أحـــب كـــل الناس وأعمل الأعمال التي أحاول الآن أن أعملها بينكم. أما بالنسبة لأجرتي فهو نفسه سيكافئني علـــي الخدمـــة مكافـــأة رائعة هناك في السما، عندما أذهب لأكون معه إلـــى الأبـــد. هنا على الأرض أيضًا عمل الرب الكثيـــر معـــي ولأجلـــي، وعمل الكثير من أجلك أيضًا. لقد بذل حياتـــه الغاليـــة مـــن أجلك. لقد مات أقسى وأبشع ميتة على الصليب. إن محبتـــه لنا، نحن الخطاة البائسين، هي التي جعلته يفعل هكذا. وهـــو لا يطلب منا غير أن نعطيه قلبنـــا البـــائس الخـــاطئ العنيـــد ليغسله ويطهره بدمه الكريم. إذا وافقنا أن يفعل معنا هكـــذا فسينقلنا من الموت إلى الحياة في ملكوته السماوي المجيد؟"

"آه يابْنتي الغالية، كم أتمنى أن أكون معه فـــي ملكوتـــه. إنني كنت أفكر كثيرًا في هذا الأمر مـــؤخَّرًا، ولكننـــي أعلـــم جيدًا أنني خاطئة جدًا وشريرة أمام عينيه. كيف يأخذ واحـــدة مثلي إلى السماء، حيث يوجد فقـــط الطـــاهرون الـــذين بـــلا

خطية؟ أنا كنت يومًا ما صغيرة وجميلة مثلك، ولكن ذلك زمانٌ قد مضى، فالآن وجهي قد تغطى بهذه التجاعيد القبيحة. إن ضميري يتعبني. إنه يتحدث بصوتٍ مرتفع عن خطاياي الماضية لأن حياتي الشبابية لم تكن كحياتك. لم أفكر أبدًا في الله، ولا في الموت، ولا في حقيقة أنني لا بد أن أعطي حسابًا عن خطايا شبابي أمام القاضي البار العادل. كان يبدو لي أنني سأظل دائمًا صغيرة أنيقة وبصحة جيدة، أما الآن فقد أصبحت عجوزًا محطّمة وقريبًا ستأتي نهايتي، ثم ماذا؟ لقد انْقضتْ حياتي كلها بدون الله. لقد اسْوَدّ قلبي وتلوّث بالخطية. كل هذا قد حدث في ماضيَّ، ولا أستطيع أن أحمله إلى الرحلة الطويلة التي أمامي. لا بد أن عاري وآثامي سيتبعانني. إن التفكير فيما ينتظرني على الجانب الآخر من القبر يرعبني. إنني أقضي ليالي كثيرة بلا نوم، أفكر في هذه المسألة. آه لو أن الله فقط كان رحيمًا بي أنا الخاطئة الأثيمة وغفر خطاياي."

انحدرت دموع كبيرة لتوبة حقيقية على خديّها الباهتيْن المجعّديْن.

بعد عدة ساعات من الحديث عن المخلّص الذي جاء خصيصًا من أجل الخطاة، كنتَ تستطيع أن ترى هذه السيدة إمرأة أخرى: سعيدة وتتمتع بالسلام، تُقبّل جوديت عند باب بيتها وهي تودّعها. كانت عيناها تشعان فرحًا وسلامًا وهي تودّع جوديت متمنية لها كل بركات الله الغنيّة. فعن طريق جوديت، سمعتْ لأول مرة عن محبة الرب يسوع المسيح وقوّته المخلصة. وقد تجاوبتْ مع محبته وسلّمته قلبها الذي غسّله وطهّره بدمه الكفّاري. فامتلكَ قلبَها سلامٌ مع الله: سلامٌ عجيبٌ وفرحٌ خلالَ الأيام الأخيرة من حياتِها على الأرض. ثم قالت المرأة في فرحتها العارمة "الرب الصالح قد أرسلك لي أنت رسوله وملاكه. الرب المحب العطوف بحث عني أنا خروفه الضال المسكين. أنت الآن ستذهبين إلى أناسٍ آخرين مُحبَطين ومرضى الخطية، تمامًا كما كنت أنا. إذهبي.. نعم إذهبي يا عزيزتي.. إذهبي يا عروس المسيح. هو نفسه سيكون معك أينما تذهبين. أنا لا أستطيع أن أخدمه كما تفعلين، لأن قدميَّ أصبحتا مُجهدتيْن جدًا من السير هنا على الأرض. أنا مستعدة الآن للدخول بفرحٍ إلى ملكوته المبارك. الموت لن يرعبني بعد. بالعكس أنا أنتظره بل أشتاق إليه."

دموعٌ جديدة من الفرح جرت على خدّيها. صحيحٌ أنها كانت سعيدة بخلاصها، ولكنها أيضًا كانت تشعر بالأسف لفراق جوديت.

"وداعًا يا جدتي العزيزة، بل الآن أختي في المسيح. الآن يجب أن أذهب إذ ما زالت هناك نفوسٌ كثيرة يريد المخلص أن يجتذبها إليه."

ثم رفعت جوديت رأسها مشيرةً إلى فوق ووجهها يشع فرحًا "ربما نتقابل هناك قريبًا. ليكن الرب معك يا أختي العزيزة في هذه الأيام الأخيرة."

حملتْ جوديت حقيبتها على ظهرِها، وألقت نظرة أخيرة على صديقتها الجديدة، وذهبت في طريقها.

وهكذا كانت أيام جوديت تُقضى في الخدمة. كانت محبة الله، بالإضافة إلى تعرّف الكثيرين على الرب وتغيُّر حياتهم بشكل واضح، يمنحان جوديت قوة متجددة. لم يكن تعبها باطلاً أو غيرُ مُثمرٍ.

كثيرًا ما كان الناس يُقابلونها في البداية ببرود، بل وبعداوة ظاهرة، ولكنها بإخلاصها وبساطتها ومحبتها الصادقة استطاعت

أن تنتصر على عداوتهم، بل إنها اجتذبت عددًا ليس بقليل إلى الجلجثة، أولئك الذين تمرمروا على خطيتهم في توبة صادقة ووجدوا السلام والفرح والحياة الأبدية. هذه الحالات كانت سبب فرح خاص لجوديت. وكم كانت تتشجع جدًا عندما ترى أولئك الذين أظهروا في البداية عداوة وكراهية يأتون إلى الرب يسوع المسيح في اتضاعٍ وينحنون أمامه. فقد كان هذا يؤجِّج في قلبها الرجاء أنه ربما يأتي الوقت الذي فيه تغلب محبة الله والديْها، وهم أيضًا يأتون وينحنون أمامه – ذاك الذي يبغضونه الآن – كمسياهم ومخلصهم.

لم يمُرّ وقتُ المرض الشديد المتعب الذي اجتازته جوديت بدون تأثير دائم على حياتها. لقد قامت من المرض شخصية أخرى. فمع كوْنها كانت دائما مملوءه نشاطًا وفرحًا، إلا أنه يبدو كأنه حدث فيها تغيير. كما لو كانت على جبل التجلّي حيث ظهر لها مجد الرب، فانعكس ذلك على كل حياتها. لقد أصبحتْ أكثر هدوءًا، وكثيرًا ما علت هيئتها – التي كانت دائمًا مضيئة – ظلالٌ غريبة من التأمل الصامت، بعدما كانت دائمًا مرحة وضاحكة. لم يكن ذلك بسبب حزنٍ أو

اشتياق إلى أي شيء أرضي، كوالديها أو أصدقائها، وإنما كانت تفكر في الأمور السماوية كثيرًا بعد مرضها. كان كل كيانها يعبّر عن اشتياق شديد إلى المنازل السماوية. كنت بروحها تتوق بل تعطش إلى الوجود معه هناك. كانت أفعالها وكلماتها أكثر عمقًا وجديّة عن ذي قبل.

بالطبع لم يغفلْ رفقاءُ الخدمة، الذي تعمل معهم يوميًا، عن هذا التغيير. وكانت أكثر المواضيع المفضّلة التي تحب أن تتكلم عنها أثناء سيرهم لمسافات طويلة بين القرى والمدن، هي عن مجيء الرب وعن اختطاف الكنيسة والوجود مع الرب في الأبدية.

ذات يوم، أثناء سيرهم لمسافة طويلة، قالت لقائد فريق الإرسالية "هل تعلم يا جدي أنني قد رأيت الرب يسوع المسيح أثناء مرَضي عدة مرات، وكل مرة في هيئة مُختلفة، وفي أماكن مُختلفة، ولكنها كانت كلها عن مجيئه الثاني؟ أنا لا أجزمُ تمامًا، ولكن يبدو لي أن مجيئه للكنيسة قد اقترب. أحياناً أفكّر أننا سنسمع صوته يدعونا اليه قريبًا. إنّ الصوت الداخلي، الذي كثيرًا ما شجّعني وعزّاني وفرّحني طوال

حياتي بعد معرفتي بالرب، خاصةً في أوقات الضيق والاضطهاد، يكرِّر دائمًا في أذُني أنني يجب أن أستعد لملاقاة الرب. إنني أنتظر مجيئه في كل لحظة. لقد كان هذا العالم عزيزًا على قلبي جدًا، وكنت مُهتمة جدًا بالأمور الأرضية، لكن هذه الأمور أصبحت غريبة وبعيدة جدًا عني. وفي هذه الأيام الأخيرة أصبحتُ لا أشعر بثقل أو حزن عندما أفكر في والديّ. إنني أفكر فيهم في هدوء... هل تشعر أنت أيضًا بنفس الطريقة؟"

أجاب المبشر "لا يا جوديت. أنا لا أشعر بالضبط مثلما تشعرين. ولكنني أعتقد تمامًا أنّ مجيء الرب أصبح قريبًا جدًّ. ، وأعتقد أنه سيأتي بينما أنا هنا على الأرض وسأراه وجهًا لوجه. إن رغبة قلبي الشديدة هي أن أعيش وأخبر الناس عن رجوعه الوشيك. وإذ ألاحظك أميّز جيدًا التغيير الكبير الذي حدث فيك بعد مرضك. أحيانًا أفكر أنك لم تُشفي تمامًا، وأنك قد بدأتِ الرحلة مبكرًا جدًا. إن المصاعب الكثيرة التي واجهتيها والحرمانات الكثيرة كانت أكبر من أن يتحملها جسدك الضعيف. أحيانا يأتيني هذا الفكر أن أرسلك إلى أحد أصدقائنا

المسيحيين لتستريحي وتستردي عافيتك. لقد كنت أفكر هكذا اليوم ونحن سائرون. أنت مُتعبة جدًا ومُجهدة."

"لا لا ياجدي. إنني أشعر أنني بصحة جيدة وبعافية كبيرة، والصعاب التي أواجهها في طريقي تبدو لي أقل كثيرًا مما عانيتُه قبل مرضي، أنا لا أفكر في الراحة أبدًا. سأكون غير سعيدة على الإطلاق إذا أرسلتني بعيدًا عن العمل ولو لمدة قصيرة. الأفكار والمشاعر التي حكيتُ لك عنها ليست بسبب المرض أو الإجهاد، وإنما بسبب الاعتقاد الراسخ أن الرب سيأخذني إليه قريبًا."

هذه الكلمات الأخيرة قالتها جوديت بصوت يكاد لا يُسمع، وهي ترفع وجهها المضيء بشعاع الفرح والتوقّع إلى أعلى، وعيناها المتأملتان ناظرتان نحو السماء التي منها تنتظر الرب عريسها السماوي.

"إذا كان هكذا يا جوديت؛ فليعطك الرب أن تكوني مستعدة للقائه في كل لحظة. إن آجالنا في يديه، وربما تكون لحظة وصولك إلى البيت الأبدي وشيكة بالفعل، أو ربما يكون يوم الاختطاف قريب لنا نحن أيضًا ولكل القديسين على الأرض.

أنا متأكد أنه سيأتي سريعًا، وإن كنت لا أشعر بنفس الشعور الذي تشعرين أنت به.

ولكن دعينا نعمل بأمانة في هذه الأيام الأخيرة حتى إذا جاء لا يجدنا عاطلين بل منشغلين في العمل الذي سبق وأعده لنا. إذا كان صوتُه يدعو خاصته للسهر والعمل، فبالتأكيد أنه يزداد بالذات في أيامنا الحاضرة. إننا نرى كيف أنّ ليل الظلام والخطية يغطي كل الأمم أكثر وأكثر كل يوم. .إن التمرد يزداد بسرعة كبيرة وكالسيل يطمو ويغطي الأرض. والمحبة تبرد حتى في قلوب الكثيرين من المؤمنين. وشعبُ الله في روسيا يُضطهد ويُظلم من الحكومة، وعليهم أن يتحملوا الجوع والحرمان والاستشهاد من أجل إيمانهم بالرب يسوع المسيح. بينما في غرب أوروبا نجد أن المسيح يُرفض ويُنكر بشكل مخيف، خاصة في أمريكا، وهذا يحدث بكامل إرادتهم بدون ضغط أو اضطهاد. إن نور الكنائس بدأ يخبو في كل مكان. البؤس والشقاء يعم في كل مكان في العالم كوحش بشع، والله يسمح بهما ليوقظ العالم ويحذر شعبه أنّ ظهوره وشيكٌ

وأنّ الدينونة العظيمة الأخيرة على العالم تقترب. إن العالم يرفض ويحتقر الله والرب يسوع المسيح، ويستبعد نظامه وشريعته بزيادة مستمرة. ولأن الناس رفضوا ولم يرضوا بتعاليم ووصايا الله فسيلحقهم التشويش والدمار.

ولكن شيئًا واحدا يسعد ويعزّي قلبي في هذه الأيام، وهي أنه في هذه الساعات المظلمة من الحكم في بلدنا، فإن كثيرين يستيقظون من نوم الخطية والموت، ويصبحون أحياء لله مكرّسين قلوبهم وحياتهم له. ولهذا فإن هذه الهزّات العنيفة لم تهز بلادنا باطلاً."

٦

الاستشهاد المُبكّر

الغيوم تزداد قتامًا - الأيام الأخيرة - أمينة إلى الموت

كان ذلك في أواخر الخريف، وكانت الأوراق الصفراء والبنّية التي انتزعتها الرياح من الأشجار تغطي الأرض الرطبة كبساط مُلوّن، وكانت الأمطار الباردة تنهمر كالسيول.

كانت مجموعة من الناس آخذة طريقها بين الغابات بقرب إحدى القرى، تخطو بحرص متجنبة الطين ومستنقعات المياه بأن تخطو فوق الأوراق الجافة وفروع الأشجار الساقطة على الأرض. كانت ملابسهم مبتلة تمامًا بسبب الأمطار وملوثة

بالطين بارتفاع ركبهم، وحقائبهم التي يحملونها على أكتافهم مبتلة هي والملابس والحاجيات التي فيها فأصبحت ثقيلة جدًا.

وإذ وصلوا إلى القرية، وقف هؤلاء الغرباء وتلفتوا حولهم، كأنهم يبحثون عن شيء ما، ثم استداروا واتجهوا نحو أحد البيوت الصغيرة البهيجة ودخلوا بعدما طرقوا الباب.

استقبل الفلاح وزوجته ضيوفهم بترحاب قلبي، وساعدوهم بسرعة على التخلّص من الملابس والأحذية المبتلة الملوّثة. كان الرحّالة مُجهدون من السير الطويل، وكانوا جوعى أيضًا؛ غير أن وجوههم كانت تشع بفرحٍ داخلي. كما أن أصواتهم لم يبدُ منها أي تذمر أو احتجاج... بينما كانوا يغتسلون بقدر ما يستطيعون، أخذوا يقصّون لمضيّفيهم الكرام عن رحلتهم لمسافة حوالي العشرين كيلومتر في الطريق الموحل تحت الأمطار المنهمرة. ثم بعد ذلك اتحدوا معًا في الصلاة شاكرين الرب من أجل معونته لهم وحفظه إياهم في الطريق. وشكروا الرب أيضًا من أجل أحبائهم ومضيّفيهم، إخوتهم في الرب، الذين سعدوا برؤيتهم والذين تحت سقف بيتهم وجدوا حماية وراحة مؤقتة.

قال لهم الفلاح "بالحقيقة نحن سعداء وشاكرين الرب أنكم سلكتم هذا الطريق ووصلتم بسلام. نحن، وقليلون آخرون هنا في القرية، كنا ننتظركم بفارغ الصبر في الأيام الأخيرة السابقة. لقد أخْبرَنا البعض أن مجموعة صغيرة من المُرسلين تسلك الطريق في اتجاه قريتنا، ففكَّرنا أن نأخذ جيادنا والعربة ونقابلكم في الطريق. ولكن لخيبة أملنا استمرت الأمطار بكثرة، وأصبحت الطرق لا يمكن السير فيها على الاطلاق. بالأمس كان هناك بعض القوافل تمر بقريتنا، وكان لديهم أربعة جياد مربوطة بعربة واحدة مُحمّلة بجنود جرحى ومرضى – فقد استأجروا جيادي الأربعة – ومع ذلك فقد كانت هناك صعوبة بالغة في قيادة العربة في الشوارع. ففي حالة وجود جوادين تكون هناك استحالة في قيادتها لمسافة كيلومتر واحد، خاصة لو كانت تحمل حملا ثقيلا كهؤلاء الجنود المساكين. ولذلك رضيتُ بما أعطوني مقابل الأربعة جياد الأقوياء الذين أملكهم. فالرجاء منكم اعتبار النية الطيبة بدلاً من الفعل. حسنًا...

شكرًا للرب أنتم هنا الآن. الرب لم يتركك دون أن

يزوّدكم بمعونته.. أنا أعتقد أنكم تحبون أن تبدءوا خدمتكم في هذا المكان الليلة. أليس كذلك؟ إذا كان كذلك فسأستطيع بسرعة أن أخبر القرويين بذلك.

إن الجميع هنا مُحبَطين ومُجهدين بسبب التجارب التي حلت عليهم مؤخرًا حتى أن الذين كانوا يقاومون الإنجيل بشدة بدءوا يطلبون الله. إن القوات المسلحة هنا تشغل منطقتنا، ومُعظم البيوت ممتلئة بالمرضى والجرحى، وقد نشر الجنود الأمراض والتيفوس على نطاق واسع بين السكان الآمنين؛ فترى الألم والضيق على كل جانب، والذين لا يعرفون الله هم على حافة اليأس. ونحن عدد قليل من المسيحيين، فقط بعض العائلات القليلة، حتى نحن أحيانًا تضعف قلوبنا وتضطرب من الخوف غير عالمين ما نتائج هذه الأمور: فالجنود يمرون بنا يوميًا يسرقون ويتوّعدون، وأيضًا يقتلون وينهبون آخر ما نمتلك من خبز وأغنام وكسوة وكل ما يعجبهم. وأن تخبّئ أو تقاوم فهذا مُستحيل، ففي اللحظة التي فيها يجدون شيئًا مخبأً يطلقون الرصاص فورًا ويقتلون المالك. نعم إننا نعيش في أيامٍ

صعبة. من يدري كيف ستكون النهاية وماذا سيأتي لنا بـه المستقبل".. ثم أنهي كلامه بآهةٍ ثقيلة.

سألت جوديـت "ألا يجـب أن أذهـب الآن لأرى بعـض المرضى يا جدي؟"

"لا يا جوديت، نحن جميعًا مُرهقون جدًا وأنا متأكـد أنـكِ لستِ أقل منا إرهاقًا. بالإضافة إلى أنـه يبـدو أن مـضيّفتنا الطيبة منشغلة في المطبخ تُعد لنا شيئًا نأكله، وأعتقد أنه مـن الجيّد أن نتقوّى قليلاً لأننا جائعون جدًا. أولاً يجب علينـا أن نجفف ملابسنا وأحذيتنا بقدر الإمكان. في المساء سـنعقد أول اجتماع حتى نتعرف قليلاً على الجماعة هنا. وغدًا، إن تـأنّى الرب، سنكون على استعداد لأي خدمة حفَظها لنا الرب. من الواضح أننا في هذا المكان سنجد ما يشغلنا باستمرار."

كان هناك عملاً في تلك القرية ومجاوراتهـا أكثـر ممـا يستطيع تتميمه فريق عمل واحد. كل الـذين حـولهم كـانوا جنود مُعادين يتطاحنون معًا وينشرون الموت والـدمار علـى كل جانب، وعمّت الأوبئة كالتيفود والتيفوس وحـصدت مـن نفوس السكان والجنود أكثر مما حصدته الحروب.

كانت جوديت – كسامري صالح – تعمل باجتهاد في وسط الويلات والأحزان في وادي ظل الموت. لا البرد ولا الوحل ولا الأمطار استطاعت أن تعطل خدمة محبتها لهؤلاء الناس البؤساء المرضى روحيًا وجسديًا؛ فكانت تمد يد المعونة حيثما وُجد احتياج للمعونة، وتعتني بالمرضى ولا تفلت منها فرصة لتكلمهم عن الرب يسوع المسيح ومحبته للبشر.

عندما كانت جوديت تقرأ الكتاب المقدس في بيوت الأصدقاء والمعارف، كان كثيرًا ما يكون هناك جنود بين المستمعين المتجّمعين. وإذ كان بعضهم يتأثرون بكلمة الله بعمل الروح القدس، كانوا يعترفون بخطاياهم وجرائمهم. وليس قليل من هؤلاء الجنود سلمّوا حياتهم للرب، وخرّوا عند قدميّ السيد المسيح طالبين غفرانًا لخطاياهم. وإذ ولِدوا ثانيةً، تركوا سلوكهم الدموي الذي يؤدي إلى دينونة وموت أبدي، وبدأوا حياة جديدة مقدسة، تابعين الرب يسوع المسيح في الطريق المؤدي إلى الفرح والحياة الأبدية.

كانت توبة أولئك الجنود، رفقاء السلاح، وإشاعة الحق

الصريح المُعلن، سبب غضب وثورة الجنود الآخرين الدمويين؛ فكانوا يأتون إلى الاجتماعات حيث كانوا يقاومون ويحلفون ويجدّفون ويلعنون الذين يقرأون الكتاب المقدس ويكرزون بالحق.

وفي إحدى الاجتماعات قال أحدهم بغضب "أنتم تجولون في كل مكان بغرض واحد فقط، وهو أن تخدعوا وتضللوا الناس بإنجيلكم. نحن نعرفكم جيدًا أيها المبشرون.. لقد حان وقت قطع رؤوسكم، وهو ما سيحدث بالتأكيد في يومٍ من هذه الأيام. أين كنتم قبلاً؟ أريد أن أعرف. لماذا لم تكلموا الرأسماليين عندما كانوا يقمعون ويُذلّون العمّال المساكين. لماذا لم تطلبوا منهم أن يتوبوا ويتوقفوا عن استغلال الفقراء المساكين. الآن فقط، عندما تمرّدنا عليهم ورفعنا مدافعنا في وجوههم، ظهرتم أنتم بيننا لتُخيفونا بعذاب الجحيم، وتُخبرونا عن خطيتنا وعن محبة مسيحكم، مُحرّضين إيّانا أن نحب بعضنا بعضًا." ثم أضاف وهو يلوّح بسيفه مهددًا "هنا.. بهذا.. ستعرفون محبتنا لكم. انظروا هنا.. هذا هو أفضل تعبير عن محبتنا لكم ولمن هم أمثالكم."

ثم استمر يتكلم في اهتياج "إنّ وجوهَكم تشهد أن الشمس الساخنة في الحقول لم تلوّحها أبدًا، ولا تنفستم الهواء اللاذع الترابي الثقيل في المصانع. ولكنكم في الأغلب قضيتم حياتكم في عش مريح مُترف. والآن، حيث أننا دمّرنا هذا العش الدافئ، طارت عصافيركم تستجدي محبتنا وإشفاقنا. إننا سنُريكم ونُري مسيحكم محبتنا لكم."

ثم صرّ على أسنانه والتفت إلى المستمعين قائلاً "هل ما زال هناك بُلَهَاء يريدون أن يستمعوا إلى قرائتها من الإنجيل، كتاب الخرافات والبِدع والأساطير؟ بل والبعض يبكون كالعجائز المخبولات!".. ثم أشار إلى وجه جوديت، مقرِّبًا طرَف سيفه اللامع إلى وجهها. "فقط انظروا إلى وجهها. إنها حتى ليست روسيّة إنها في الأغلب يهوديّة. هه! هه!.. إنها تقرأ من كتابها اليهودي أنّ اليهود صلبوا المسيح. وهي – اليهودية – تبشر بذات المسيح لكم مقدِّمة إياه لكم على أنه الله. أليس هذا مُضحكًا؟ يكفي هذا الآن. إنها يجب أن تُطرد من هنا. لا.. أفضل شيء وأطرف شيء هو أن نشنقها."

وضحك الرجل بصوتٍ أجش ضحكة عالية شيطانية رجفت لها أعماق النفس.

أثناء كلام الرجل الشيوعي، ولطول الوقت، لم تنبس جوديت بكلمة، بل كانت تنظر إلى المستمعين بحب وشفقة وكتابها المقدس مفتوح بين يديها. بعد أن هدأ الشيوعي، بدأت هي تتكلم "لقد قال صديقنا عدة أمور صحيحة عني: إنني يهودية وإنني لم أعمل طوال حياتي في حقلٍ أو مصنع ولكنني عشت في بيتٍ مريح وفي ترَف. كل هذا صحيح. في هذا هو لم يخطئ. إلا أنه أخطأ في أقواله الأخرى. ليس فقدان هذا الغنى ولا رغبتي في خداع الناس هو ما جعلني أترك بيتي. السبب الواحد الوحيد الذي من أجله أنا هنا هو محبتي لمخلصي الرب يسوع المسيح وللنفوس الهالكة.

منذ طفولتي الباكرة تعلمت نفس الأمور التي حدثّنا عنها صديقنا منذ لحظات، وهي أن المسيح كان شخصًا مَحتالاً مخادعًا، وأن الإنجيل مجموعة من الخرافات والأكاذيب. ولقد صدّقتُ ما سمعته، وعشت كما يعيش باقي الناس حولي. لكن الشكر والحمد لفاديَّ، فقد منحني فرصة

لحضور اجتماعٍ كهذا، وكانت كلمة الله فيه تُقرأ وتُشرح. وهناك اقتنعت أن يسوع المسيح لم يكن مُخادعًا، ولكنه ابن الله خالق السماء والأرض، وخالقنا نحن أيضًا. وفي ملء الزمان جاء إلى أرضِنا، ومات هنا من أجلنا ليخلصّنا من الخطية والموت، وليصالحنا مع الله ومع بعضنا البعض..

إن الخطية هي التي قسمت الناس إلى فقراء وأغنياء، إلى روس، ألمان، إنجليز، صينيين ويهود.. إلى آخره. وكنتيجة للخطية، أصبح الناس أعداء؛ فهم يضطهدون ويقتلون بعضهم بعضًا، ويقومون بحروب دموية رهيبة؛ فالأخ يقوم على أخيه ويحاربه بأبشع الثورات التي تهدم وتدمّر كل شيء جميل ونبيل. أما المسيح فقد جاء ليوحّد الكلَّ في أمة واحدة وشعب واحد.

بعد أن عرفتُ هذا الحق من الإنجيل، لم أعد أحسب نفسي يهودية؛ فقد عرفتُ أن كل البشر هم إخوة وأخوات، وأننا يجب أن نحب بعضنا بعضًا؛ لأن هذه هي إرادة الرب يسوع المسيح من جهتنا. وحالما عرفت الرب يسوع المسيح، صمَّمت أن أشرح لكل الناس، وفي كل

مكان، هذه الحقائق السارة عن محبة الله.

أنا أسألكم هذا اليوم، أنتم المجتمعين في هذا البيت: لماذا الناس يقتلون ويبغضون بعضهم بعضًا؟ أليس الذي يقتل هو إنسان تمامًا كضحيته؟ أليس القتل العمدي القاسي هو مرعبٌ له كما لذلك الذي يعتدي هو عليه ويقتله؟ ألا ينوح ويولول عليه الآباء والأمهات والأحباء. أنا أرى هنا عددًا من الشباب المسلّحين سلاحًا ثقيلاً. ألا تبكي أمهاتكم بمرارة لو أنكم قُتِلتم قبل الأوان. ربما ترك بعضكم خلفه صغارًا أعزاء.. ألا تكون آلامهم قاسية لو أصبحوا أيتامًا؟ وبالنسبة لكم أنتم أنفسكم، هل تريدون أن تموتوا؟ بالطبع لا. ومع ذلك أنتم في خطر دائم أن تُقتَلوا بواسطة المسلحين أمثالكم.

ومع ذلك هذا ليس هو أهم شيء ولا هو أفظع شيء. السؤال الهام جدًا هو: ماذا ينتظركم على الجانب الآخر من القبر؟ إن تأنّى الرب، فكلا بد أن تنتهي حياتنا بالموت. الموتُ يفصل أرواحَنا عن أجسادِنا ولكنه لا يحرِّرنا من خطايانا، ولا من نتائج خطايانا والدينونة الأبدية. ضميرُنا

لن يتطهر بمرورنا من بوابة المـوت، بـل بـالعكس كـل أفكارنا وكلماتنا وأعمالنا ستظهر وتتكشف بعد عبورنا مـن هذه الأرض. آه.. يا للرعب والألم أن نرى أنفسنا هنـاك كما بالحقيقة نحن في نور الأبدية الكاشـف. أيـن سـنجد لأنفسنا مخبأً هناك؟ لا نستطيع أن نهرب مـن أنفـسنا ولا من أعمالنا التي تتبعنا..

لذلك، فالرب يدعوكم الآن حيث الوقت مقبـول. الوقـت ليس بعد متأخرًا، وهو يريد أن يغـسّل كـل قلـب ملـوَّث بالخطية، يأتي إليه، بواسطة دمه الكـريم. لقـد غـسّلني عندما جئت إليه أول مرة في حياتي، وسيغسل اليوم قلـوبكم أيضًا في هذه الساعة.. الآن.. فقط إذا كنـتم تريـدون أن تأتوا إليه. ألا تقبلون محبته وتـأتون إليـه بقلـب تائـب وتفتحون قلوبكم له؟ ألا تأتون؟"

فاضت دموع التوبة من كثيرين، واتضعت قلـوبٌ كثيـرة أمام الرب بينما هم يسمعون شهادة جوديت البسيطة المـؤثرة. لقد خرجتْ من أعماق قلبها، واتجهت مـستقيمًا إلـى قلـوب الآخرين.

غير أن الشيطان لم يكن عاطلاً في ذلك الوقت، بل شجّع خادمه وأثاره؛ فبينما هي تتكلم، ازداد غضب الرجل الذي هددها منذ قليل، فخبط بسيفه على الأرض غاضبًا، ونظر نظرة مرعبة إلى جوديت، بدا أنها اخترقت كيانها كله. وعندما سمع دعوتها في نهاية حديثها، جرى خارجًا وصفق الباب خلفه بشدة، وهو يحلف ويلعن. وقبل أن يغادر، رماها بنظرة سامة وهو يصرخ مُقسمًا "أنت ستكونين أول من يندم على كلماته."

مرت الأيام يومًا بعد يوم، وكان الجو إلى حد ما غير لطيف في الفترة الأخيرة، كان باردًا وممطرًا، وصاحبت الأمطار عواصف شديدة. وكان كل شيء في الطبيعة جافًا وكئيبًا كما لوكانت ظلال الموت انتشرت وغطت كل شيء. لكن بدا أن جوديت لم تلاحظ الصورة الكئيبة للطبيعة، فقد كانت مستغرقة جدًا في واجباتها من نحو المرضى والمتألمين، راغبة بشدة أن تأتي بالنفوس الخالدة الجائعة والعطشى إلى السلام والراحة الحقيقية في المسيح. بالنسبة لها كان كل شيء زاهيًا وجميلاً، وبدا لها أن كل شيء قد

أضاء بنور مُعيَّن. كنت تراها، في الليل وفي النهار، ماشية في الشوارع في مهمات المحبة والخدمة، مهما كان من مطر أو برد أو وحل. وأينما ذهبَتْ، كانت تعكس نورًا سماويًا وتنشر السلام والفرح في وادي الخطية والموت.

لم تلاحظ جوديت أن هناك غيومًا قاتمة ثقيلة تتجمع فوق سماء حياتها، وتزداد تهديدًا كل يوم. كان حبُها الشديد للهالكين وتوقعها وانتظارها لمجيء الرب تخفي كل هذه الأمور عنها. كانت الغيوم تزداد كثافة وظلامًا كل ساعة. لقد كان الشيطان، رئيس الظلمة والشر في هذه الأرض، لا يستطيع النوم أو أن ينظر بعدم اهتمام لهذه العمل الدؤوب الذي تقوم به الابنة الأمينة لله، ويرى واحدًا بعد الآخر يُنقذ من أسْر سلطان ظلمته ويُحضَر إلى النور والحرية. مؤخَّرًا كان الشيطان يسلّح أشخاصًا أشرارًا أكثر وأكثر ضدها. كانت قلوب هؤلاء قد تقست بسبب حياتهم والخطية والجريمة.

في أحد مؤتمراتهم السريّة، قرَّروا أن يقتلوا كل من يذكّرهم بخطاياهم وبدينونة الله القادمة. وقرروا أن يلاشوا النور من طريقهم المظلمة التي تؤدي حتمًا إلى الجحيم بطول الأبدية.

بعدأيامٍ قليلة كانت خطتهم الشيطانية قد تحققت.

مع شروق شمس أحد أيام الخريف الكئيبة المضببة، كان رجل يمشي منفردًا بحرص عبر الحقول المزروعة بقمح الشتاء. كان واضحًا أنه أتى من إحدى القرى قاصدًا الأخرى. وكل بضعة دقائق كان يتلفت حوله بخوف كما لو كان يخشى شيئًا. كان الجليد قد تكوّن في المساء، مما أتاح له أن يمشي على الأرض المجرّفة الرخوة. كان ذلك الرجل الذي يسير منفردًا يحرص جدًا أن يظل بعيدًا عن الطرق، وكان واضحًا أنه يحاول أن يختفي عن الأعين، أو على الأقل أن يموّه طريقه. كان الحزن الشديد والعميق، الذي لا يمكن وصفه بأي حال، مرتسمًا على وجهه. وكانت تصدر عن صدره المثقّل بالألم آهات عميقة، فيرفع عينيه الحزينتين الباكيتيْن في مرارةٍ إلى السماء.

والآن قد وصل إلى آخر تلة صغيرة، وبدأ ينحدر ببطء إلى الوادي حيث تنتشر بيوت قرية "أندرييفيكا". كان كل الوادي مغطّى بضباب كثيف.

وقف ذلك المتجوّل دقيقة أو اثنتيْن، ينظر حوله بحرص.

أخيرًا استدار إلى اليسار، وأخذ طريقه بين الحدائق والبساتين المهملة خلف البيوت. كان أحيانًا يسمع أصوات بعض الناس يتكلمون أو أصوات الطيور البيتية والماشية وقد استيقظت من نومها.

عندما وصل تقريبًا إلى الطرف الآخر من القرية، مشى بتردد إلى بيدر قديم مهجور، ليس بعيدًا عن باقي بيوت المزارع، كان يُستخدم قبلاً كمخزن للتبن وعلف الحيوانات ولكنه أصبح الآن فارغًا ومهجورًا. وإذ اقترب ذلك الغريب من المكان، توقف مرة أخرى ونظر حوله بحرص شديد. ثم اقترب أكثر ببطء شديد، وتردُدْ كما لو كان خائفًا أن يدخل من باب البيدرالكبير. وهو بالحق كان خائفًا جدًا، فقد علت صفرة الموت وجهَه، وعضّ بشدة على شفتيه، وارتعد كل كيانه ارتعادًا عظيمًا. وبأيدي مرتعشة مهتزة، فتح الباب الثقيل الذي أحدث صوتًا عاليًا وهو يدور على مفصلاته الصدئة، فدخل وأغلق الباب تمامًا خلفه. وما إن خطا خطواتٍ قليلة بالداخل، حتى توقف فجأة أمام شيء قاتمٍ أمامه على الأرض، ففي الظلام لم يستطع أن يميّز ما هو.

عاد إلى الخلف وفتح الباب قليلاً ليسمح لبعض الضوء بالدخول. عندما استدار رأى أمامه منظرًا مرعبًا فظيعًا جعل الدمُ يتجمد في عروقه.. على بعد ياردة أو اثنين من الباب، كان هناك جسد ميت لفتاة صغيرة شوَّهته سيوف غادرة قاسية. لقد كان واضحًا أن الشهيدة الصغيرة كانت جاثية على ركبتيها تصلّي عندما لفظتْ آخر أنفاسها. كانت يدها اليسرى، التي هي الآن باردة بلا حياة، تمسك بالكتاب المقدس وتضمه إلى صدرها في آخر لحظات عمرها هنا على الأرض. كان الكتاب مُشبّعًا بدمها، ويدها اليُمنى تحت رأسها المقطوع المُشوّه. لعدة دقائق صامتة ساكنة أخذ ينظر إلى البقايا الأرضية التي انطلقت منها الروح إلى بيتها الأبدي.

وصعدت من قلبه الحزين أنّة عميقة أليمة رغمًا عنه: "جوديت.. أيتها المسكينة.. هنا وجدتِ نهاية حياتك في هذا العالم. حسنًا.. أنت سعيدة الآن لأنك معه، ذاك الذي أنت له، الذي من أجله عشتِ وخدمتِ والذي من أجله مُتِّ موتَ الشهداء. من يدري ربما تأتي نهايتي أنا أيضًا قريبًا.. ربما يتبعك الجد سريعًا."

ثم قال لنفسه بعد لحظات من الحزن القاتل "إنه من الخطورة بمكان انتظارَكَ هنا أكثر من ذلك. إن قاتليها ما زالوا في القرية، وإذا لمحني أحدهم فسوف يضع بسرعة نهاية لحياتي، وربما ليس الآن موعدي بعد! إنه ما زال هناك عملٌ كثيرٌ في كل مكان."

وبعد نظرة أليمة أخرى إلى الجسد المغطى بالدم، قال بأسف شديد "إنه ليس لدينا حتى فرصة لدفن خيمتها الأرضية."

وبنظرة أخيرة طويلة وحزينة إلى جسد جوديت، غادر المكان مكسورالقلب لا يفارق مخيلته منظر ذلك الذبح الوحشيّ. ثم عاد أدراجه متتبعًا آثار خطواته حتى وصل إلى القرية الأخرى دون أن يراه أحد.

* * *

ذهبتْ جوديت إلى بيتها الأبدي. ماتت وهي تبارك وتصلي من أجل قاتليها. في اليوم السابق لانطلاقها، وبعد حضورها اجتماع شركة للصلاة، لآخر مرة معهم، ودّعت جوديت الجد وباقي المُرسلين ومضت إلى القرية المجاورة.

هناك بدأت عملها المعتاد اليومي بزيارة المرضى والشهادة للرب بالقول والفعل. وحوالي الساعة الرابعة ظهرًا، تجمَّع عددٌ كبير من القرويين في أحد البيوت يستمعون إلى جوديت وهي تقرأ لهم قصة الإنجيل القديمة الجديدة عن خلاص الله.

كانت تتكلم عن مخلصها في ذلك اليوم بكل حماسة ومحبة. كان الرب يبدو قريبًا منها أكثر من أي وقت مضى. كان يبدو كما لو كانت تراه بعينيها الطبيعيتيْن في وسط الناس المجتمعين. وكان كل الحاضرين يستمعون إليها بشغف شديد وحب. فجأة حدث ضجيج شديد مزعج، ودخل عدد من الجنود المسلحين بسلاح ثقيل. كان واضحًا أنهم دخلوا من أجل غرضٍ شرير. وبمجرد دخولهم، كان واضحًا أنهم جاءوا لينفّذوا مخططهم الإجرامي الذي اتفقوا عليه حديثًا.

وصرخ أحدهم آمرًا "أخرجوا من هنا. كل واحد إلى بيته إن كنتم تريدون أن تستمروا على قيد الحياة." ثم أضاف وهو يشير إلي جوديت بسيفه "نحن نريدها هي فقط."

وجذب آخَر سيفه الذي عكس أشعة شمس الظهيرة، وتقدَّم نحو جوديت، بينما هي وقفت في هدوء خلف المنضدة، وكتابها المقدس المفتوح في يدها.

غادر المجتمعون المكان بسرعة. كلٌ يجري إلى بيته في هلع شديد، عالمًا أن المكان سيصبح حالاً مسرحًا لمشهد دموي رهيب. كانوا قد شاهدوا مذابح كثيرة قبلاً ويعرفون أن هذا النوع من الناس لا يمكن أن يوقفهم أي شخص، ولا أي شيء. كان هؤلاء الأشرار قد تعوّدوا أن ينفذوا مؤامراتهم الشريرة بغض النظر عن أي شيء.

بعد وقت قليل، كانت جوديت تقف وحدها وسط هؤلاء الرجال الذين امتلكهم الشيطان. ثم سألها الرجل الواقف إلى جوارها بوحشية "من أنت؟ ومن أرسلك لتنشري هذا الأفيون بين الناس؟ من أعطاكِ رشوة حتى تقنعي جنودنا في قواتنا المُسلحة أن يحبوا جيرانهم بل وحتى أعداءهم في الوقت الذي فيه يجب أن يقتلوا بلا رحمة تلك *"الأيدي البيضاء"* والشعب الكسول من أمثالك. أجيبيني في الحال. هذه آخر فرصة لك للإدلاء بقولك."

وقفت جوديت هادئة، تنظر بشفقة قلبية عميقة على هؤلاء الرجال الأشرار أمامها. وبعد دقيقة صمْت أجابت "من أنا؟.. لا حاجة لي أن أخبركم؛ فأنتم تعرفون ذلك منذ زمنٍ. ولكني على أي حال أستطيع أن أخبركم مرة أخرى. أنا يهودية، آمنتُ بالرب يسوع المسيح، وأصبحتُ تلميذته وتابعته، وهو الذي أرسلني لكل الناس، ولكم أيضًا، لكي أخبركم أنه مات من أجلكم، وأنه يحبكم، وأنه يريد أن يخلصكم. إنه يدعوكم هذه الساعة عينها أن تتركوا حياة الخطية وترجعوا إليه بكل قلوبكم. لقد اشتراني باذلاً نفسه ذبيحة من أجلي. لقد دفع الثمن الغالي، دمه الكريم، على صليب الجلجثة من أجل فدائي، وهو فَعَل ذلك أيضًا من أجلكم. لقد أحبّكم محبة طاهرة نقية مقدسة وأرسلني لأخبركم عنها اليوم.."

صاح المسؤول بوقاحة: "سينكو.. أعط أوامرك لسيفك كي يُخرس هذا اللسان الذي لا يتوقف عن الهراء. لقد تعبنا من هذه الأقوال.. كفى." ثم أردف قائلاً "توقف.. لا! إنها لا تستحق أن نلوّث أرض هذا الكوخ بدمها.. خذها إلى البيدر، أو أي مكان مثله."

زأر الجندي الذي كان يستجوبها وهو يستدير خارجًا "إتبعيني." والباقون رفعوا سيوفهم وأحاطوا بجوديت.

أدركت جوديت تمامًا أن نهاية حياتها على الأرض قد جاءتْ، وأنها بعد لحظةٍ ستكون مع ربها ومخلِّصها إلى الأبد. فسارت وسط هؤلاء الناس بلا خوف، واستغلت آخر فرصة في حياتها لتخبر هؤلاء الناس عن محبة الرب يسوع لهم، وعن ضرورة التوبة وتسليم حياتهم للرب.

بمجرّد دخولها البيدر، سقطت على ركبتيها لآخر مرة، مُتوجّهة إلى الله في صلاة وتوسل من أجل خلاص والديها الأعزاء.

"أنا قادمة إليك يا ربي و إلهي، ولكن أنت تعرف أنني أترك هنا على الأرض أولئك الذين أحبهم محبة لا تُوصف. أرجوك يا ربي لا تدعهم يموتون بآثام قلوبهم. خلِّصهم يا رب واجتذبهم إليك. من فضلك، اغفر لوالدتي العزيزة معاملتها الظالمة لي. لا تقم لها هذه الخطية يا إلهي."

في الحقيقة إنّ أيدي خفيّة أوقفت أيدي أولئك الأشرار إلى أن انتهت جوديت من آخر طلبة لها من الله.

لقد كانوا كمن أصيبوا بالشلل وهم ينظرون دون أن ينطقوا بكلمة إلى الفتاة الراكعة في وسطهم. إن تلك القوة الخفية قد أسكتتهم، ولم تسمح لهم أن يهينوا أو يشوّهوا صلاة فتاة المسيح الأمينة.

"سامح يا رب هؤلاء الناس المساكين الذين على وشك أن ينهوا حياتي هنا في هذا العالم. لا تضع عليهم هذه الخطية، ولكن دع يدك المثقوبة تلمس قلوبهم حتى يأتوا إليك. من فضلك اغفر لهم يا إلهي، ولا تطلب دمي من يدهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون."

بينما كانت تنطق بآخر هذه الكلمات، لمعت نصال السيوف التي يلوّح بها الجنود فوق رأسها، تحدث صفيرًا في الهواء، وتقع من خلال شعرها البنيّ المتجعد، لتحدث جروحًا عميقة بالغة برأسها..

ماتت الكلمات الأخيرة على شفتيّ جوديت الباهتتيْن عندما اندفع ينبوعٌ من الدم القاني من رأسها وجسدها لتصطبغ بها ملابس أولئك المنساقين بالقوى الشيطانية.

تبادل القتلة نظراتهم، ثم استداروا وخرجوا مغادرين ذلك

المشهد البشع في البيدر.

كانت وداعة جوديت وسلامها الهادئ وصلاتها الأخيرة أمرًا صاعقًا لهؤلاء الرجال قساة القلوب؛ فأبكمتهم تمامًا. لقد استيقظ ضميرهم الميّت وتكلم إليهم مرة أخرى، فأخذوا يحملقون في ذهول إلى الأرض، ثم خرجوا صامتين دون كلمة واحدة.

خلال المساء، كانت الأخبار المأساوية عن اغتيال جوديت قد وصلت إلى المُرسلين في القرية المجاورة. وقبل الفجر، حيث لم يكن غسق الليل قد اختفى، أخذ الجد طريقه إلى تلك القرية ليرى ما إذا كانت الإشاعات صحيحة أم لا. وتدّبر أمره بحيث أنه دخل القرية ورأي جسد جوديت المشوّه دون أن يراه أحد من الجنود. وإذ لم يتمكن من دفن الجسد بنفسه، طلب من بعض الفلاحين هناك أن يضعوا الجسد في قبرٍ حيث المثوى الأخير.

لم يكن أحد هناك من أصدقائها أو أقاربها أو معارفها عندما أخذ الرجال جسد جوديت ودفنوه في المقبرة، ولكن ذاك الذي من أجله عاشت وماتت كان هناك، وتكلم بواسطة موتها إلى أولئك الفلاحين الطيبين بسطاء القلب.

عندما أنزلوا الجسد بدون صندوق إلى القبر، مسح فلاح دموعه المنحدرة على وجهه الذي لوَّحته الشمس وهو يقول "كم كانت تحب الناس! وكم من الخير عملته في منطقتنا! كم اعتنت بالمرضى!؛ وكم طيّبت قلوب كثيرين! وكم أعانت من كانوا في احتياج للعون! وقد فعلت كل هذا دون أن تنتظر حتى كلمة شكر من الناس، وأبدًا لم تأخذ تعويضًا أو مُكافأة على تعبها. كانت دائمًا تجيب قائلة: *"مُخلصي الرب يسوع المسيح قد سبق وكافأني على تعبي"*. كان من الواضح أنها تحب الله من كل قلبها. كانت يهودية ومع ذلك كم كانت تحترم وتبجّل الرب يسوع! وكم كانت صلاتها له حارة وقلبية!"

أضاف آخر "نعم.. كما علّمت هكذا عاشت؛ ففيها كان القول والعمل غير متناقضين، بل في انسجام كامل."

وعلّق فلاحٌ آخر "وهنا هذا الكتاب الذي كانت تقرأ فيه دائمًا تلك الأمور الرائعة، لقد كانت تمسكه في يدها الميتة بعدما فارقت الحياة. انظروا: لقد تغطى تمامًا بدمها. إن الطريقة التي كانت تمسكه بها ترينا كم كان غاليًا جدًا عليها. لقد ماتت وهي على ركبتيها تصلّي حتى اللحظة الأخيرة."

أخذ الفلاح طرَف سترته القصير ليمسح به دموعه الكبيرة التي انحدرت على لحيته.

وسأل واحدٌ منهم، وهو يأخذ الجاروف ليغطي جسد جوديت "أليس من الأفضل أن نضع الكتاب معها في القبر؟"

وافقه الجميع قائلين "نعم. هذا صحيح، فكل الأوراق تشبعت بالدم وأصبحت قانية اللون تمامًا، من الأفضل أن نضعه معها أيضًا."

"هنيئًا لكِ بالسماء يا آنستنا العزيزة. نحن لم نعرفك، لم نعرف أين كنتِ وأين والداكِ وأين بيتك؛ ولكنكِ أحببتينا كلنا، ونحن عرفنا ذلك وشعرنا به تمامًا."

وعند ذلك بدأ الرجال يملؤون القبر بالتراب. وتوقف أحد الرجال عن العمل للحظات وهو يقول "آه لو أن الله أرسل إلينا نحن الخطاة أكثر و أكثر من هؤلاء الناس الطيبين! " لماذا يمتلئ العالم بالناس السيئين الأشرار وبقليل جدًا من الطيبين الصالحين، وحتى هؤلاء الطيبين يُقتلون بلا رحمة. لدينا بعضهم هنا في مجاوراتنا، ولكن أولئك المساكين لا يجرؤون أن يُظهِروا الآن أنفسهم بينما رفقاؤهم في العمل

يُقبَرون. لا يستطيعون أن يتكلموا ولا أن يقيموا لهـا حفـلاً جنائزيًا لائقًا أو يقدمون خدمة كلمة.. لا شيء أبدًا. عـالمين أنهم لو ظهروا لقُتِلوا في الحال مثلها."

"صه يا "فيدور". لا تتجرأ أن تتكلم عـن هـذه الأمـور بصوتٍ مرتفع. من يدري: إن الجدران والأشجار لهـا آذان هذه الأيام، فإن حدث أن سمعَنا أحـد نـتكلم بهـذه الأمـور فسنجلِب الخطر وربما الموت على هؤلاء الناس الطيبين."

* * *

الآن التراب يغطّي جسد جوديت الميّت البارد، إلى أن يبوّق بوق الله، فيقوم الأموات أولاً، في ذلك الصباح المجيـد. ولـن يراها أحد على الأرض هنا مرة أخرى، ولكن تعـب محبتهـا سيظل عائشًا في قلوب أولئك الذين اختبروا محبتها في حياتهم.

كثيرون من الذين قابلوها هنا على الأرض واستمعوا إليهـا، سيقابلونها هناك في المجد مع ذلك الذي أحبته من كـل قلبهـا. نجومٌ كثيرة ستكلِّل جبينها هناك في السماء وإلى الأبد.

قصة شهيدة

كان جوديث فتاة مُخلصة، كلّفها إيمانها كل شيء: عائلتها، وخطيبها، وبيتها، وأصدقاءها.

هذه الرواية تحكي عن شابة مكرّسة لإيمانها بالمسيح، كانت إحدى ضحايا حمام الدم الذي صاحب الثورة البلشفية الروسية، وكُتبت من معرفة شخصية بجوديث وقصتها.

"قصة لا تُنسى!"